رحلات
السندباد البحري
١
المكتبة الخضراء
للأطفال
دار البحار

المكتبة الخضراء
للأطفال
١

رحلات
السندباد البحري

تأليف
مجدي صابر

دار البحار
ص. ب ١٥/٥١٢١
بيروت ـ لبنان

الطبعة الثانية
١٩٩٣م .

التنضيد : دار ومكتبة الهلال

الإعداد الإذاعي والإشراف اللغوي : عصام شعيتو

الإخراج : زاهي طالب

اشترك في التمثيل : علي شقير ، حسني بدر الدين ، علي طحان ،
زينب عواض ، حسين شحادة ، سكنة ناجي
وسيلفانا الحركة شقير .

تطلب منشوراتنا من :
دار ومكتبة الهلال
ص . ب ١٥/٥٠٠٣
بيروت - لبنان

جـزيـرة الحـوت

عـاشَ السِّنْدبـادُ في بَغْدادَ في زَمنِ الخَليفَـةِ هارونَ الـرشيدِ . وكـانَ السِّندِبـادُ شابّاً فتيّاً مُغـامراً (١) لا يَكـادُ يَستقِـرُّ على حـالٍ ويَعشَقُ السَفَـرَ والتَرْحَالَ . . وبِرُغْمِ مـا كانَتْ تَتَّسِمُ(٢) بِهِ بَغـدادُ في ذلكَ الوقتِ مِـن سَعةِ الرِزقِ وبَسْطةِ العيشِ وأَنَّها كانت عاصمـةَ الشرقِ الزاهرةَ ، يَقصُدُها كُلُّ وافِدٍ وسائحٍ لِمكانَتِها العِلْميَّةِ والأَدبِيَّـةِ ، فإِنَّ السِّندِبادَ لم يَقنَعْ بذلكَ كُلِهِّ ، وتَوَثَّبَتْ فيـه الرَّغبـةُ لأَنْ يسافـرَ عَبْرَ البِحارِ والمُحيطـاتِ ، لِيُشاهـدَ العالَمَ ويَعمَلَ بالتِّجارَةِ . .

وذاتَ يومٍ اسْتقرَّ السِّندِبادُ على غَرضِهِ فباعَ مَنْزِلَهُ ومَفْرُوشاتِهِ بثَمَنٍ كَبيرٍ ، واشترى بالثمنِ بَضَائعَ كثيرةً من مَلْبوساتٍ وَأقمِشةٍ وغيرِها ، مما كانت تَمتَلِئُ بـه أسواقُ بَغدادَ ، وسافرَ بِهَا إِلى البصرةِ . . وهِيَ ميناءٌ كبيرٌ بجانبِ كَونِهَا مَدينةً كبيرةً ، وكانَ غَرَضُ السِّندِبادِ من السفرِ إِلى البصرةِ هُو البحثُ عَنْ سفينةٍ تُقِلُّهُ[٣] إِلى مَوانىءِ بِلادِ العَالمِ المُخْتَلِفَةِ . .

وفي البَصْرَةِ بَحثَ السِّندِبادُ عن رُبَّانِ سفينةٍ يَرضى أَنْ يُقِلَّهُ هُوَ وبِضَاعَتَهُ على سفينَتِهِ . . وبَعدَ وقتٍ قصيرٍ عَثَر على رُبَّانِ سفينةٍ وافقَ على سفرِهِ وبِضاعَتُهُ مَعَهُ ، وقالَ لَهُ : ستذهبُ مَعَنا يا سِنْدِبادُ فإنَّ هناكَ عدداً من التُّجّارِ قَدْ أَحضَرُوا بَضائِعَهُمْ وهم يُرِيْدونَ أيضاً السَفَرَ إلى بلادِ الشرقِ لِيبيعُوا بِضَاعَتَهُمْ ويشترُوا من تلكَ البلادِ أنفس(٤) مُجوهَراتِها وبضائِعِهَا لِيَعودوا بِهَا ويبِيْعُوهَا في بغدادَ .

سُرَّ السِّنْدِبـادُ سُروراً كبيراً وانْتَظَرَ إقـلاعَ السَفِيْنَـةِ بفـارغِ الصَّبْرِ .
وأَخِيراً رَفَعَ الرُّبَّـانُ قِلَعَ (٥) السَّفينةِ فـأبحرَتْ في شَطِّ العَـرَبِ بِمَشِيْئَةِ اللهِ .
وَبَعْـدَ وَقْتٍ وَصَلَتِ السَّفِيْنَـةُ إلى المُحيـطِ الهِنـديِّ وهي لا تـزالُ سـائرةً ولم تتوقفْ إلا في بَعضِ الجُزُرِ في قلْبِ المُحِيطِ ، وكان من عَادةِ قَباطِنَةِ السُفُنِ التَوقفُ بِهَا فَيَتبادَلُ التجارُ بما مَعَهُم من أقمشةٍ ومَلْبوساتٍ بمُنتَجاتِ أهالي تلكَ الجُزِرِ الذينَ كانوا في الغالبِ الأَعمِّ مِنَ السُّكانِ البدائيينَ الذينَ لم يَرَوا حَضَـارةً من قَبْلُ ولم يغـادروا جُـزرَهُم البَعيْـدةَ النـائيـةَ فَيتكَـالبُـونَ على المَلْبـوساتِ الـزاهيـةِ المُلَـوَّنَةِ التي تَحمِلُهَـا لَهُمُ السفنُ العـابـرةُ ويَتَبادَلُـونَهَا بِمُنتَجاتِهِم اليَـدَويةِ أو ببعضِ المُجوهـراتِ الغاليـةِ الثمنِ التي لا قِيمةَ لهَا عِندَهُم . .
وطالَ السَفرُ مُنْذُ غادَرتِ السَفينةُ آخِرَ جَزيرةٍ حتى كادَ الماءُ العَذْبُ أَنْ يَنفَدَ مِـنَ السفينةِ . . وبدأَ القَلـقُ يَسودُ (٦) رُكَّابَهَا وربَّانَهَا . . فإن نَفَادَ الماءِ العذبِ هَلاكٌ لا شكَّ فيهِ وليسَ هناكَ مِـن ماءٍ سوى ماءِ البحْرِ المالحِ الـذي يَستحيلُ شُربُـهُ . . وطـالَ السَفـرُ أيـامـاً وليـاليَ وركـابُ السفينـةِ وملاحُوها(٧) يَـدْعُونَ ربَّهم بِأن يَـرْسُـوا بِسُرعةٍ لَـدى أقـربِ جزيـرةٍ علَّهم يَعثرونَ على ماءٍ عذبٍ صالحٍ للشربِ .
وأخيراً وبعْـدَ أَن بَلغَ القلقُ مَـداهُ حتى اسْتحـالَ الأملُ إلى يأسٍ . .
لاَحَتْ على البُعدِ جزيرةٌ نائيةٌ(٨) صَغيرةُ الحَجْمِ فَهتفَ السِّنْدِبـادُ ومَنْ معهُ

فَرَحاً . واقتربتِ السفينةُ رُوَيْداً رويداً [٩] من شاطِيءِ الجزيرةِ حتَّى توَقَّفَتْ على بُعــدٍ يسيرٍ [١٠] مِنْهَـا . . وأَسرعَ البَحـارةُ يَقفــزونَ في البحـرِ ومَعَهُمُ البراميلُ الخَشَبِيَّةُ الفارغةُ لِمَلْئِهَا بالماءِ العـذبِ وعثرَ البَحَّارةُ بالفِعلِ على ماءٍ عَذْبٍ كثيرٍ فَمَلأوا بَرامِيلَهُم في سرورٍ بالغٍ وعَادوا بِهَا إلى سَفينَتِهِم . . وقالَ الرُبانُ مَسْروراً : فلنَسْترِحْ قليلاً من عَناءِ السَفرِ فوقَ تِلكَ الجزيرةِ ، نَقْضِي بِهَا ليلتَنَا ، ونقتاتُ [١١] من طَعامِهَا وفواكِهِهَا ، فقد فَاتَ وقتٌ طويلٌ منذُ رأَينا الأرضَ .

فهلَّلَ الجميعُ سُروراً لِقرارِ الرُبّانِ وأَسْرَعُوا يُغادِرونَ السفِينَةَ وقدَ تَركُوا بِداخِلِهَا كُلَّ ما يَمْلِكونَ من بَضَائعَ ونَفائِسَ . .

* * *

طـافَ رُكَّابُ السفينـةِ مِنَ التُجَّارِ والبَحَّـارةِ وضِمنُهُم السِّندِبـادُ بالجزيرةِ يقطِفُونَ الثِمارَ المُتَدَلِّيَةَ مِـن أشجارِهَا ويَجْرُونَ وَيمرحُونَ في سعادةٍ زادَتْهَا فرحَتُهُم بالعثورِ على أَرضٍ وماءٍ بعدَ يأْسٍ . .

وكانَ السِّندِبادُ في شِدةِ السُرورِ لِعُثورِهِم على تِلكَ الجَزيرةِ فاسْتَظَلَّ بِشجَرةٍ كبيرةٍ وغلبَ عليهِ النُعاسُ فنامَ في مكانِهِ . .

ولمَّا حلَّ الليلُ اشتدَّ البردُ على البَحَّارةِ فَـوْقَ الجزيرَةِ فقالَ أَحَدُهم : لِنَجْمَعْ حطباً ونوقدْ ناراً نستدِفىءُ بِهَا .

فَوَافَقَ البـاقُونَ وجَمَعـوا بَعضَ الأَغْصَانِ اليَابِسـةِ وأشعَلُوا فيهـا النَارَ والتفُّوا حولَهَا في لَذةٍ يَسْتدْفِئونَ بنَارِهَا . .

وَفَجأةً مَادَتْ الأرضُ من تَحتِهم . . واهتَزَّتْ بِشِـدةٍ كأَنَّ هناكَ زِلْزَالاً ضَخْماً قد قَلبَ كُلَّ الأشيـاءِ فتَراقَصَتِ الأشجارُ وتمايَلَتْ بعُنفٍ وتَـدَحرَجَ البَحَّارَةُ والتُجارُ من أماكِنِهم . .

واستيقظَ السِّندِبادُ مَرْعُوباً وقد أَيقَظَـهُ سُقوطُ شَجرَةٍ قريباً منهُ حتى أَنَّها لو انْحرَفَتْ قَليلاً جِهَةَ اليسارِ لأصابَتْهُ إصابةً قاتِلَةً . .

كَانَ السِّندِبادُ لا يَدْرِي ما يَحْدُثُ حَولَهُ وهو يَظُنُ أَنَّه نـائمٌ لا يَزالُ يَحْلُمُ وأَنَّ ما يَراهُ ليسَ حقِيقَةً بل خَيالاً . .

ولكنْ أيقَظَهُ من دَهْشَتِهِ صُراخُ رُبَّانِ السفينةِ الـذي صاحَ مَرْعوباً : اهربـوا بجلودِكُم . . إِنَّ ما نقِفُ عليهِ ليسَ جَزيرَةً أو أرضاً بل هُـوَ ظَهرُ حُوتٍ ضَخم جِداً يَنامُ هُنا مُنذُ سنواتٍ ، فَنَمَتْ فوقَهُ الأشجارُ والنباتاتُ وأيقَظَتْـهُ نـارُكُمْ . اهـربـوا وانفُـذوا بِجِلـودِكُم قبلَ أن تَغـرَقُـوا ويَبتلِعَكُمُ اليمُّ(١٢) ويأكُلَكُمُ الحُوتُ .

وعندمَا سَمِعَ البَحـارةُ والتُجارُ صَرْخةَ الرُبانِ واسْتفَـاقُوا إِلى الحقِيقَةِ أَلقَوا بأنفُسِهمْ إِلى البَحـرِ وسبَحوا بسُرعَـةٍ تجاهَ السفينةِ يَبتغُـونَ نَجاتَهُم من تِلْكَ البَلـوى غيرِ المُقَـدَّرَةِ . . وكانـوا كُلُهم سبَّـاحِينَ مَهَـرةً فاسْتَطَـاعُـوا الـوُصُولَ إلى السفينـةِ مَعَ رُبانِهم وبسرعَـةٍ نشروا قِلَعَ سفينَتِهم عن آخِرهـا لِيبتعدوا بأسرعِ ما يُمكِنُهُم . .

أما السِّنْدِبادُ الذي أخـذَتْهُ المُفَاجأةُ على حِينِ غِرةٍ [١٣] فَوقَفَ مُسَمَّراً في مَكانِـهِ كَأَنَّهُ لا يُصَـدِّقُ ما يَحدُثُ أَمـامَهُ . . وعنـدما أفـاقَ من دَهْشَتِهِ وجرى طَـالباً النَجَـاةَ كانتِ السفينـةُ قد شَرَعَتْ في الإِبحَـارِ . . وفي نَفْسِ الوقْتِ هبَّتْ ريحٌ عاتيةٌ دفَعتِ السَفينـةَ بعيداً بِفَضْلِ أشرعتِها المَفْرودةِ عن آخِرها فاسْتَحالَ على السِّندِبادِ اللِّحاقُ بهَا . .

وقبلَ أن يُفكِّـرَ السِّندِبـادُ فيما يفعلُهُ اهتـزتِ الأرضُ من تحتِهِ بشـدةٍ واضطربَتِ اضطراباً عظيماً وبدأتِ الأَشجارُ والنَباتاتُ تَغوصُ تحتَ سطحِ الماءِ عندما بَدأَ الحوتُ يغوصُ في البحرِ . .

وتَعلَّقَ السِّنـدِبادُ بأَعلى شَجَـرةٍ ولكنْ هيهاتَ . . فإِنَّها في لحظـاتٍ كانَتْ تحتَ سطحِ المُحيطِ وأحسَّ السَّنـدِبادُ بالماءِ يلاطِمُـهُ من كُلِّ جَانبٍ فكـانَ يَضْرِبُـهُ ذاتَ اليَمينِ مرةً ثم يعـودُ لِيلطِمَـهُ ذاتَ اليَسـارِ . . وأحسَّ السِّندِبـادُ بالغَـرقِ وقَلَّتْ مقاومتُـهُ ودبَّ النهكُ [١٤] والتَعبُ بِكُلِّ أجـزاءِ جَسَدِهِ وخارَتْ [١٥] قِـواهُ . . ثُمْ فتحَ عينيهِ بِصُعُـوْبَـةٍ مُتأَلِّماً مِنَ الماءِ المَالحِ

وهو لا يَكادُ يَـرى شيئاً . كانَ يحِسُّ أَنَّ نِهايتَهُ قَـرِيْبة . . وأدركَ أَلاَّ فائدةَ من مُحاولَتِهِ النَجـاةَ في ذَلِكَ المُحيطِ الصاخبِ المُتلاطِمِ فتَركَ نفسَـهُ لِلمَوْجِ يَفْعلُ بِهِ ما يشاءُ . . وغاصَ لِأسفلَ وقد انهارَتْ مُقَاوَمَتُهُ . .

* * *
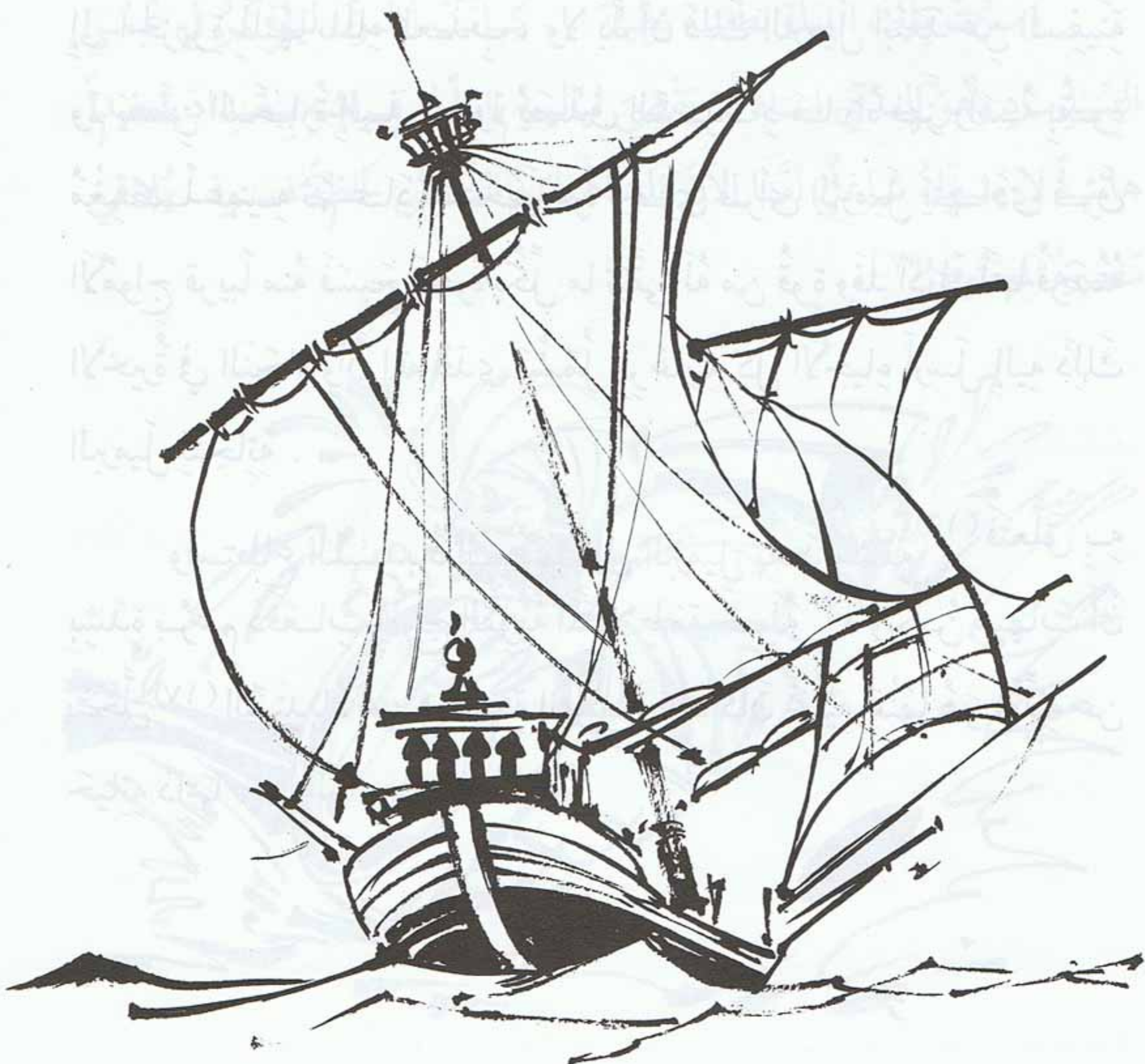
ولكنْ ، وكَما يتعلقُ الغريقُ بقشَّةٍ ، فبعدَ أنْ غاصَ السِّندِبادُ في الماءِ لَحظاتٍ ، قاومَ بشِدةٍ حتَّى صعِدَ لِأعْلىٰ مرةً أُخرى والتقطَ أنفاسَهُ بصُعوبةٍ بعدَ أنْ ملأ الماءُ جَوفَهُ . . وفتحَ عينيهِ لَحظةً وهو لا يَكادُ يَرى شيئاً ولكنْ ولِدَهْشَتِهِ الشَديْدَةِ شاهدَ شيئاً قريباً منْهُ يتأرجَحُ ويَهْتزُ فوقَ الماءِ . . كانَ ما يراهُ أشبهَ بأحدِ البراميلِ الفَارغةِ التي ألقاها البَحارةُ في الماءِ لِيسحبُوهَا إِلى الجزيرةِ لِمَلْئِهَا بالمَاءِ العذْبِ ، ولا بدَّ أن ذلكَ البرميلَ ابتَعدَ عنِ السفِينةِ ولم يَفطَنِ البحّارةُ إليهِ . . ولم يُصدِّقِ السِّندِبادِ مَا رَآهُ فهزَّ رَأْسَهُ بِقُوةٍ مُغْمِضاً عينيهِ ثمَّ عادَ لِيَفْتَحهُمَا مرةً أُخرى فرأى البَرميلَ يَتهادَى فوقَ الأَمْواجِ قريباً منهُ فَسبحَ نَحوهُ بكُلِّ ما تَبَقَّى لَهُ من قُوةٍ وقَد أدركَ أَنَّها فُرصَتُهُ الأخيرةُ في النَجاةِ وأَنَّ اللهَ الذي يَشْمَلُ بِرِعَايَتِهِ كُلَّ الأحياءِ أَرسلَ إِليهِ ذَلِكَ البرميلَ لِنَجاتِهِ . .

واستطاعَ السِّندِبادُ الوُصولَ إِلى البرميلِ بعدَ مَشَقَةٍ(١٦) فتَعلَّقَ بِهِ بِشدَةٍ بِرُغمِ دَفَعَاتِ المَوجِ القَوِيَّةِ المُتَلاطِمَةِ حَولَهُ . . ولكنْ هيهاتَ أَنْ يتخلَّى(١٧) السِّندِبادُ عن « سفينةِ إنقاذِهِ » فقد كانَ تَخَلِّيْهِ عَنْهَا هُوَ تَخَلِّيْهِ عن حَياتِهِ ذاتِهَا . .

وحَمَلَ السِّندِبادُ جَسدَهُ المُنهكَ لِأعلَى وتمَدَّدَ فوقَ البرميلِ الكَبيْرِ وهُوَ يلهثُ بِشِدَّةٍ وقَبَضَ عليهِ (١٨) بِأصَابِعِهِ كَأَقْوى ما يكونُ . . واستمرَّ يَقظاً قابِضاً على البرميلِ طَوالَ لَيلَتِهِ بِسَبَبِ العَواصِفِ الثَائِرةِ ، فقد أدْرَكَ أَنَّهُ لو نامَ لحْظَةً واحدةً لارْتَخَتْ أَصابِعُهُ القَابِضَةُ على البَرميلِ وسَقَطَ في المُحيطِ وابْتلعَهُ اليمُّ .

وَمرَّتْ تِلكَ الليلةُ بَطيئةً بَطِيئَةً . . كانَتْ أَطولَ ليلةٍ تمرُّ في عُمْرِ السِّندِبادِ وهُوَ الذي اعتادَ أَن يَقْضِيَ لياليهِ نائماً في فِراشِهِ بِبغدادَ سَعيداً هانئاً لا يَشغَلهُ شاغلٌ أمَّا الآنَ فلو أَصابَهُ النُعاسُ لحظةً فسوف يُلاقي مَصيرَهُ المحتومَ (١٩) . .

أخيراً لاحتْ تَباشِيرُ الفجْرِ . . وشاهدَ السندِبادُ الفجْرَ الوليدَ وهو يَبزُغُ(٢٠) مِنَ العَتْمةِ . . ومَعَ ظُهورِ الفجْرِ هَدأتِ العاصِفةُ واسْتكانَ

الموجُ . . واسْتراحَ السِّندِبادُ ورفعَ وجهَهُ إلى السَماءِ شاكراً ربَّهُ . . وأغمَضَ عينيهِ أخيراً بعدَ أنِ اطْمأنَّ إلى أنَّ الأمواجَ لَنْ تَقذِفَهُ من فوقِ برميلِه . . وبعدَ لحظاتٍ غرِقَ في سُباتٍ[21] عَميقٍ .

ومرَّ وقتٌ لم يُدركِ السِّندِبادُ مُدَّتَهُ ، وعِندمَا فتحَ عينيهِ شاهدَ الشَمسَ لا تَزالُ مُشْرِقَةً في كَبِدِ السَماءِ[22] وفكَّرَ في دَهْشَةٍ وهو يَستَعِيدُ كُلَ ما مَرَّ بِهِ ، هل نامَ ساعةً أو ساعتينِ فَقَطْ . . مُحالٌ فإنَّه ما كانَ لِيَسْتَعِيْدَ قُوَّتَهُ بتلكَ السُرعةِ بعدَ المَجْهُودِ العظيمِ الَّذي بَذلَهُ وهو يُصارِعُ الأمواجَ . .

وأدْرَكَ السندِبادُ أنَّهُ قد يكونُ مرَّ يومٌ أو يومانِ وَهُوَ نائمٌ فوقَ البرميلِ مِنْ شِدَّةِ تَعَبِهِ . . وأَكَّدَ لَهُ ذلِكَ شِدةُ جُوعِهِ فقد كانت بَطنُهُ تَقرصُهُ من الجُوعِ . .

ومرَّ النهارُ كُلُّهُ والشمسُ الحَامِيَةُ تَلْفَحُ ظَهرَ السِّندبادِ فَتُحْرِقُهُ والجُوعُ يَقرصُهُ والماءُ المالحُ يسببُ لجراحِهِ ألماً شَديداً ولكنْ ما باليدِ حِيْلةٌ . . وَخَفَضَ السِّندِبادُ عَينيهِ ووجْهَهُ هَرَباً مِنْ حَرارةِ الشمس . . وما كادَ يَرْفَعُ رأْسَهُ بعدَ هُنَيهَةٍ[23] حتَّى اتَّسَعَتْ عيناهُ من فَرْطِ الدَهْشَةِ والذُهُولِ وهو لا يُصَدِّقُ ما يراهُ . .

فَقَدْ شاهَدَ على البُعدِ شَريْطاً ساحِلياً تَنْمُو فوقَهُ بعضُ الأشجارِ . .

كانتِ الأَرضَ ولا شكَّ فهتفَ السِّندِبادُ بِسَعَادةٍ غامرةٍ : الأرضُ . . الأرضُ . . وبدأ يَصْرخُ بِشِدَةٍ وقُوةٍ وهُوَ لا يُصَدِّقُ نفسَهُ من فَرحتِهِ . . كانَ وصولُهُ إلى الأرضِ في تلكَ الحالةِ أشبهَ بِالْمُعْجِزَةِ (٢٤) فاغرَوْرَقَتْ عيناهُ من عِنايةِ الله بِهِ وعَدمِ تَخَلِّيهِ جلَّ جلالُهُ عنهُ واستجابتِهِ لِدُعائِهِ . .

لَمْ يَكُنْ بِالسِّندِبادِ قوةٌ لِيسْبحَ حتى اليابسةِ التي رآها أمَامَهُ فَظَلَّ راقداً فوق برميلِهِ والمَوجُ الهادئُ يَدْفَعُهُمَا بِرفقٍ وبِطءٍ نحو اليابِسَةِ . .

وأخيراً أَحسَّ السِّندِبادُ بالأرضِ تَحتَ أقدامِهِ فخاضَ في الماءِ وهو لا يُصَدِّقُ نَفْسَهُ وَوَجْهُهُ مُبَلَّلٌ بدموعِ السعادةِ . . ولامسَتْ قدماهُ الأرضَ الجَافَّةَ فارْتَمَى فوقَهَا خائِرَ القِوىَ وفقدَ رُشدَهُ (٢٥) . .

* * *

ومرَّ يومٌ كاملٌ حتى استعادَ السندِبادُ وعْيَهُ مرةً أُخرى وفَتحَ عينيهِ في أَلمٍ فَقَدْ أيقَظَتْهُ قَرَصَاتُ بَطْنِهِ الجائعةِ والتي لم يَدْخلْ جوفَهَا طَعامٌ منذُ أيام . .

وجلسَ يَتطَلَّعُ حولَهُ بِفُضُولٍ (٢٦) . . كانتِ الأرضُ مُتَّسِعةً مُنبسِطةً

أمامَهُ حتى أَنَّـهُ لم يدرِ هَلْ ما يراهُ أرضاً حقيقيةً أم جـزيرةً كبيرةً . . وكانَتْ أَشجارُ الفـاكِهَةِ تملأ المَكَـانَ حَولَـهُ مِمَّا يَقْطَعُ بـوجودِ مَصْـدَرٍ لِلماءِ العذْبِ قريباً مِنْـهُ . . وكانَ إلى جانبِ جُوعِـهِ ظمآناً فَتحاملَ السِّنـدِبادُ على نفسِهِ وَوَقَفَ على قدمَيْهِ اللَّتَيْنِ كـانَتا تُؤلِمَانِهِ أَشَدَّ الأَلَمِ وسارَ بـاتِّجاهِ أقربِ شجرةٍ وقعَ عليهـا بَصرُهُ واقتطفَ بَعْـضَ ثِمارِهَـا الغـريبـةِ وكـانَت حمراءَ اللـونِ مُستديـرةَ الشكلِ تُشبهُ ثِمارَ البَرْقُوقِ ولكنَّهـا كانت أَلَـذَّ طعماً . . وبعدَ أَنْ أَكلَ السِّندِبادُ وأحسَّ بالشَبَعِ أَخذَ يتجوَّلُ في المَكَانِ حتَّى عَثرَ على بِركَةِ ماءٍ صغيرةٍ . . وَخَشِيَ السِّنْدِبَادُ أَنْ يَكُوْنَ المَاءُ مَسْمُوْماً فَانْحنَىٰ فَوْقَ بِركَةِ المَاءِ وَدَقَّقَ فيهـا فَشـاهـدَ بَعضَ الأَسْماكِ الصَغيرةِ تَسْبَحُ داخِلَهـا فَشرِبَ آمنـاً مُطْمَئِناً لِأَنَّ الماءَ ليسَ مَسمُوماً وإلا لَمَاتَتِ الأَسْماكُ . .

ودُهِشَ السِّنـدِبادُ مـن مَنظرِهِ وهُـوَ ينظُـرُ في سَطحِ البِركَةِ . . فقـد كانت هيئتُهُ غَريبةً مُخِيفَةً . . طالَتْ ذَقْنُهُ واسْودَّتْ مَلامِحُهُ (٢٧) مِنَ الشمْسِ الحارقةِ وجفَّ جِلْدُهُ . . أَمَّا ملابِسُهُ فقد تَمَزَّقَتْ وفَقَدَ نَعْلَيْهِ . . ولكِنَّهُ تَنهَّدَ براحَةٍ قائلاً : الحمـدُ للهِ على كُلِّ حالٍ . . يَكْفِي أَنِّي نَجوتُ من الموتِ فلا ينبغي أَنْ أكونَ طَمَّاعاً . .

وقَضَى السِّندِبـادُ باقيَ يومِهِ سـائراً في المَكانِ على غَيرِ هُدىً دُوْنَ أَنْ يُصادِفَ مَخلُوقاً . . لا حيواناً ولا إنساناً فتعجبَ أشدَّ العَجَبِ . . وفكَّرَ في حَيرةٍ ففي كلِّ الجزرِ التي نَزَلَ إليها في رِحلَتِهِ صَادفَ أُنَاساً وحَيَواناتٍ فما

بَـالُ ذلكَ المكانِ خَالِياً من كُـلِّ المَخلوقاتِ . . لَعلَّـهُ أَولُ إِنسانٍ يَطـأُ(٢٨) تِـلكَ الأرضَ . . هكـذا فكَّـرَ السِّندِبـادُ وهُـوَ يَضْـرِبُ في الأرضِ هـائماً(٢٩) . .

وعندَمـا حَلَّ الليْلُ فكَّرَ في مكـانٍ يَقْضِي بِهِ ليلَتَهُ وقـالَ : إِنَّ المَكانَ هُنَا خالٍ من السِّباعِ وغَيْرِهَا من الحيواناتِ المُتَوحِّشَةِ فليسَ هناكَ ما أخشاهُ إِن نِمتُ عَلى الأرضِ المكْشوفةِ . .

ولكنَّهُ زيادةً في الحرصِ أَحضَرَ بعضَ الأخشابِ الجافَةِ من أغصانِ الأشجارِ وغيرِهـا وأوقَدَ فيها نـاراً بِحَكِّ حَجَرَيْنِ بِقُوةٍ حتى تـولَّدَتْ شَرارةٌ أمسكَتْ في الأخْشَابِ فاشْتعلتْ بِهَا النارُ . . وتَمدَّدَ السِّنـدِبادُ بِجوارِ النارِ
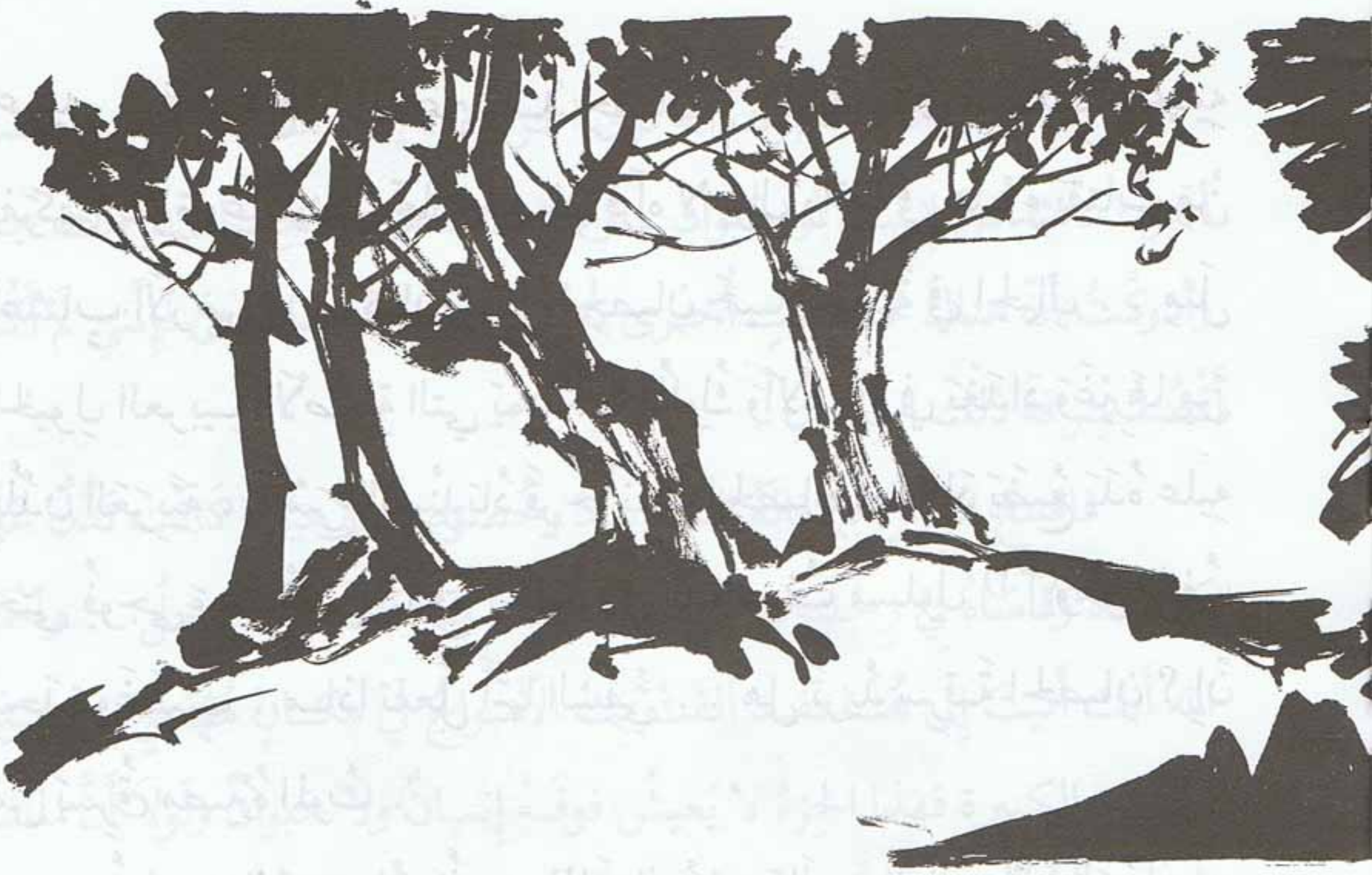
آمناً من هُجُومِ حَيوانٍ غادرٍ . . فَقَدْ كـانَ يَعلَمُ أَنَّ أغلبَ الحَيـوانـاتِ المُفترِسَةِ تَخْشَىٰ النارَ . .

وصحا في اليومِ التالي نَشِيْطاً مُرتاحاً . . فَنَهَضَ من فَورِهِ وعَزَمَ على أَنْ يَسْتكشفَ بَـاقيَ أنحاءِ الأَرضِ التي حَطَّ عليهـا لِيعـرِفَ ما إِذا كـانت أَرضاً كَبيرَةً أَمْ جَزيرةً واسعةً . . ولِيتأَكَّدَ إنْ كان يعيشُ بها أُناسٌ وحيواناتٌ أَوْ أَنَّهُ وحدَهُ فوقَها لا رفيقَ لَهُ .

وقضَى السِّنـدِبـادُ وقتـاً وهـو يَسِيرُ لا تكـادُ عينـاهُ تقَعـانِ إِلاَّ على صُفوفٍ من الأشجـارِ والنَبـاتـاتِ الغريبـةِ الشَكْلِ . . وتوَغَّلَ(٣٠) داخِلاً وهُـو لا يَحِسُ بِمُرورِ الـوقتِ . . وفَجأةً توقَّفَ مـدْهوشـاً وهُوَ لا يُصدِّقُ

عينيهِ . . فقدْ لاحَ(٣١) لَهُ عن بُعـدٍ حِصانٌ . . لم يُصَـدِّقِ السِّندبـادُ عينيهِ ففركَهُما بقُوةٍ وعادَ ينظُرُ تِجاهَ الحِصانِ فرآه لا يزالُ واقفاً في هِدوْءٍ يَقْتاتُ مِنْ أعشابِ الأرضِ . . وكـانَ شَكلُ الحِصانِ جَميـلاً غايـةً في الجمالِ . . مِثلَ الخيولِ العربيـةِ الأَصيلةِ التي يَمتلِكُها المُلوكُ وَالأمـرَاءُ في بَغْدادَ وَغَيْرِهَا مِنَ المُدُنِ العَرَبِيَّةِ ، فَأَسْرَعَ السندِبادُ فَرِحاً نحو الحِصانِ وما كادَ يَضَعُ يَدَهُ عليهِ حتى فُوجِىءَ بِشَخْصٍ يَندفِعُ نحـوَهُ وفي يَدِهِ سيفٌ مسلولٌ (٣٢) وهو يَهْتِفُ بِحدَةٍ وغَضَبٍ : مـاذا تفعلُ أَيُّها الشقِيُّ . . هل تُريدُ سرِقـةَ الحصانِ ؟ إِنَّ من يَسرِقُ مصيرُهُ الموتُ .

فُوجِىءَ السِّندِبـادُ بِظُهورِ ذلكَ الرجُلِ وقالَ : إِنتظـر أَيُّها الرَجُلُ . . ما أَنا بِلِصٍ ولا كـانَ غَرضِي السَرِقةُ . فتفرَّسَ الرجُلُ فيهِ بِـرِيْبَةٍ وقالَ : وما هو غرضُكَ إِذن ؟ ومَنْ أَنتَ ؟

قال السِّندِبادُ : إِنَّنِي أُدعىَ السِّندِبادُ وكنتُ أعيشُ في بَغدادَ قبل أَنْ أَخْـرُجَ في رحلةٍ للتجارةِ وشاءَ سـوءُ حَظي أَنا ومن معيَ أَنْ نـرسوَ بِجـوارِ حُوتٍ ضَخمٍ نائمٍ وظننّاهُ جزيرَةً فَفرِحْنا وأوقَدْنا ناراً فأفاقَ الحوتُ من نومِهِ الطـويلِ وأسرعَ أصحابي هـارِبينَ وغـاصَ الحوتُ فكِـدْتُ أَغرَقُ ، ولـولا عنايةُ اللهِ ما نَجوتُ ولاَ وَطأتُ هذا المكانَ .

قـالَ الرجل متشككـاً وهو يَـرمُقُ السِّنـدِبادَ : منـذ متى وأَنْتَ على الجَزيرةِ ؟

ردَّ السِّندِبادُ وقدْ عرفَ أنَّهُ فوقَ الجزيرةِ : إنني هُنَا منذ أيامٍ ، وكنتُ أتجولُ بْحثاً عَنْ إنسانٍ أو حَيوانٍ ، وعندما شاهدتُ الحِصانَ فَرِحتُ جداً وأدركْتُ أَنّ هناكَ مَخلوقاتٍ أُخرى تعيشُ هُنَا ، وهَكَذا تَرى فَإِنَّني لَمْ أَكُنْ أَقْصُدُ سرقةَ ذلكَ الحِصانِ .

فاقتنعَ الرَجُلُ بما قالَهُ السِّندِبادُ وخُصوصاً أن هيْئتَهُ كَانَتْ تَدُلُ علَى مَا لاَقَاهُ وَقَاساهُ فِيْ رِحْلَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : لَقَدْ صَدَّقْتُكَ أَيُّها الرجلُ . . وأَحْمَدُ اللهَ أَنكَ أَتيتَ إِلى هُنَا فقد أَلقَتْ بِكَ الأَمواجُ في مكانٍ مُقْفرٍ من هذِهِ الجزيرةِ الكبيرةِ فهذا الجزءُ لا يَعيشُ فوقَهُ إِنسانٌ ولا حَيوانٌ ولَولاَ أَنَّ المَلكَ يَأْتِيْ إِلى هُنَا أسبوعاً كلَّ عامٍ ما رأَيتَنَا . . هيَّا بِنَا لِنَنْضمَّ إِلى باقي زُملائي من خُدَّامِ المَلِكِ .

فَسَارَ السِّندِبادُ معَ خادمِ المَلِكِ وقدِ اطْمَأَنَّ إِليهِ وأَسلَمَ لَهُ قِيَادَهُ فقادَهُ الخادمُ إِلى زُملائِهِ وقَصَّ عَلَيهم قِصَّةَ السِّندِبادِ فَعَطفوا عَلَيْهِ وأَشفقُوا لِقِصَتِهِ وأَخذوا يُحدِثُونَهُ عَنْ مَلِكِهِمُ العادلِ الطيبِ الذي يَحْكُمُ بالعدلِ والحَقِّ ويهابُ[٣٣] اللهَ . . ثم حَدَّثُوهُ عَنْ مَدينَتِهِمُ العظيمةِ الواسعةِ والتي يقصُدُها تُجارٌ من مختلَفِ بِقاعِ العالَمِ لِوُقوعِهَا على شَاطِئِ البحرِ ولِتَوسُّطِهَا الطريقَ ما بين جهاتٍ مُخْتَلِفَةٍ . .

ومَا كادوا يَصلُونَ إِلى المَدينةِ حتَّى أسرعَ الخَدَمُ وأَخبروا المَلِكَ بِأَمرِ السِّندِبادِ فَأَمَرَ بإحضارِهِ إِليهِ فأحضرُوهُ . . واستمعَ الملكُ إِلى قِصةِ

السِّندِبادِ باهتمامٍ كبيرٍ . . وبَعدَ أنِ انتهَى السِّنـدِبادُ من قَصِّ روايتِهِ قَالَ لَهُ المَلكُ : إنَّك ولا شكَّ إنسانٌ طيبٌ وإلاَّ ما أنقذَكَ ٱللهُ وشَمَلكَ برعايتِه . . إنك تبدو (٣٤) شاباً مِقْداماً (٣٥) جَريئاً فلْتُعَاوِنِي في مملكَتي هُنَا ولتَقُمْ بتصْريفِ أمورِ (٣٦) التجارِ ممن يَفِدُونَ إلينا من كُلِّ البلادِ فإنني أَتوسَّمُ فيكَ ملامَحَ شابٍ نبيلٍ ذكيٍ .

فَقالَ السِّندِبادُ باسماً : بلْ إنني أُجيدُ أيضاً عِدَّةَ لُغاتٍ ولَهَجْاتٍ مما يتكلَّمُ بِهِ تُجارُ البلادِ المُختلِفةِ .

فَسُرَّ المَلكُ سُروراً عَظِيماً وصَفَّقَ بيديهِ لِخدَمِهِ قائلاً : خُذُوا السِّندِبادَ إِلى أفضلِ الخيَّاطينَ وبائعي الأقمشةِ في البلادِ وجهِّزوا لَهُ ما يَرغبُ فيهِ من مَلابسَ واشترُوا لَهُ ما يَلزمُ من أحذِيةٍ ولوازِمَ وأَسكِنُوهُ في قصرٍ كبيرٍ بِجواري . .

فَفعلَ الخَدمُ كُلَّ ما أَمرَ بِهِ المَلِكُ واشترَوا لِلسِّندِبادِ الحُلَلَ الفاخرةَ وأسكنوهُ القصرَ الكبيرَ . . وعاشَ السِّندِبادُ في تِلْكَ المَمْلَكةِ سعيداً هانئاً بِعَمَلِهِ الذي كَانَ يقومُ بِهِ على أَكمَلِ وَجهٍ من تَصْرِيفِ شؤونِ التُّجارِ والبَحَّارةِ وبحثِ شكاويْهِم وفضِّ(٣٧) مُنازعَاتِهِم . .

غيرَ أَنَّ السِّندِبادَ كَانَ يَذكُرُ دائِماً بَغدادَ . . ولم تُنسِهِ إياها مَباهِجُ وعجائبُ المدينةِ التي يعيشُ فيها . . وظَلَّ كلَّ يوم يذهبُ إِلى المِيناءِ بَحْثاً عن السفينةِ التي تَركَ فِيها بِضاعَتَهُ مِن دونِ أَنْ يَعْثُرَ عَلَيها . . وَمَرَّ وقتٌ طويلٌ دُونَ أَنْ يَعثرَ السِّندِبادُ عَلَى بُغيتِهِ (٣٨) حتَّى كادَ اليأسُ يُصيبُهُ . .

* * *

وذات يومٍ كان السِّندِبادُ يمارسُ عَملَهُ فشاهدَ سفينةً كَبيرةً ترسُو في المِيناءِ . . فخفقَ (٣٩)قلبُهُ بين ضُلوعِهِ لِأَنَّها كانَتْ تُشْبِهُ سَفِيْنتَهُ التي ارتحل عَلَيْهَا من بغدادَ شبهاً كبيراً فأَسرَعَ إِلى رُبّانِهَا وسألَهُ عن الوِجهةِ (٤٠) التي جاؤوا مِنْهَا فأجاب بِأَنَّها بغدادُ .
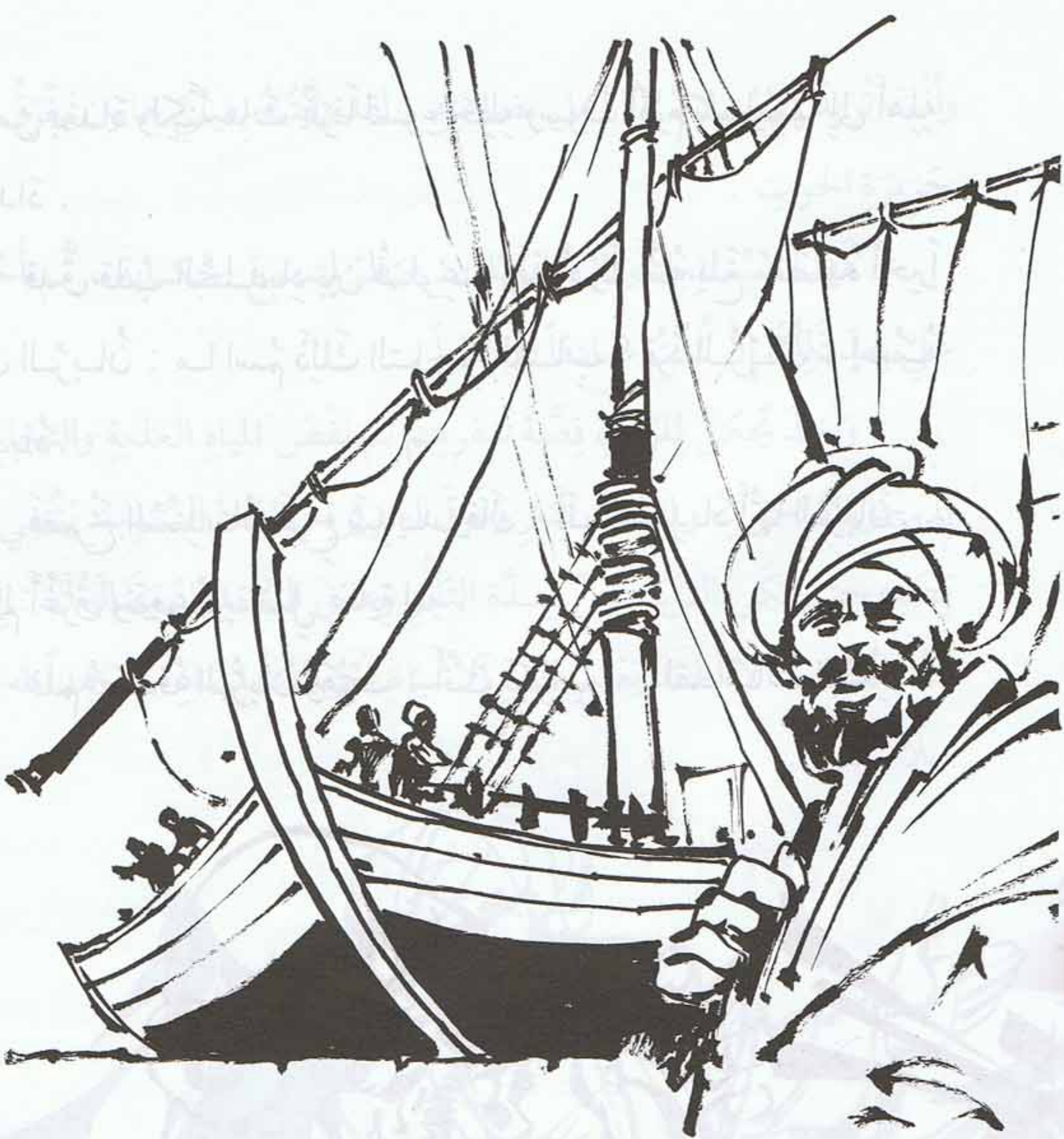
فَتفرَّسَ (٤١) السِّندِبـادُ في البَضَائعِ التي يَقومُ تُجارُ السفينةِ بمُبـادَلَتِهَا أَوْ بَيْعِهَا وسَأَلَ الرُّبَّـانَ : أَليستْ هنـاكَ بضائِـعُ أُخْرى في السفينـةِ تَرغبونَ في بَيْعِهَـا ؟

فَأَجابَ الرُّبّانُ حزيناً : هنـاكَ بضـائعُ قَليلةٌ لِتاجرٍ شابٍ بدأَ رِحلتَهُ

معَنَا من بغدادَ ولكِنَّهُ مات غَرَقاً لسوءِ حَظِهِ وسوفَ أَقومُ بتسلِيمِها إِلى أَهلِهِ في بغدادَ .

فدقَّ قلبُ السِّندِبادِ بين ضُلوعِهِ وَقَدْ أَدركَ أَنَّهُ بلغ مَقصَدَهُ أَخيراً وسأَلَ الرُبانُ : ما اسمُ ذَلِكَ التاجرِ الشابِ ؟ فردَّ الرُّبّانُ : إسمُهُ السِّندِبادُ .

فَصرخَ السِّندِبادُ بِفَرحٍ شَدِيد وقالَ : أَنَا السِّندِبادُ أَيُّها الرُّبّانُ . . إِنني لم أَغْرَقْ ونجوتُ بفضلِ عِنايةِ اللهِ .

فلم يُصَدِّقهُ الرُّبانُ وهَتفَ : أَنْتَ تكذِبُ . . لقد مَاتَ السِّندِبادُ

وأَنْتَ تُريدُ الإِسْتيلاءَ (٤٢) على بِضاعَتِهِ ، لقد رأَيْتُـهُ بِعينيَّ هاتين يَغْرقُ عَلى جَزِيرَةِ الحوتِ .

فَهدَأَ السِّنـدِبادُ وقَالَ لِلـرُبّانِ : انتظرْ لِتسمعَ الحِكـايةَ ، ثُم أُحْكُمْ عَليَّ بعدَ ذَلِكَ إِنْ كُنْتُ صادقاً أَم كاذباً .

وَأَخذَ يحكي لِلرُبّانِ قِصَّةَ سَفرِهِمْ ثم نَقْصَ المياهِ العذبةِ والتجاءَهم إلى جزيرةِ الحوتِ و إشعالَ النارِ وَغَرقَ الجزيرةِ وما كادَ السِّندِبادُ يَنْتَهي مِن قِصَتِهِ حتى بَكَى الـرُبّانُ مِنْ شِـدَّةِ التَأَثُّرِ وعانق السِّنـدِبادَ وَقَـالَ لَهُ : إِنَّكَ أَنْتَ هُـوَ . . لاَ أَحَـدَ يَعْلَمُ هَـذِهِ ٱلأَشْياءَ غَيْرُ السِّنْـدِبَـادِ . . حمداً لله على سلامَتِكَ . .

وأَمَرَ الرُّبّانُ بإعطاءِ السَّندبادِ بِضاعَتَهُ فقالَ السِّندبادُ : انتظرْ أَيُّها الرُّبانُ . . فما لي رَغبةٌ في الإقامةِ في هَـذِهِ البِلادِ أَكثرَ مِـمَّا أقمْتُ . . لَقَدْ زادَ اشْتِياقي وحَنِيْنِـي إلى بلَدي بغْـدادَ . . سوفَ أَرْحلُ معَـكَ عائِـداً إليها .

انتقىٰ (٤٣) السِّندِبادُ هـديةً ثمينةً من بِضاعتِـهِ حَمَلَها إِلَىٰ ملكِ البلادِ دليـلاً على شكـرِهِ وامتنانِـهِ لِطيبـةِ المَلِكِ الـذي أفسَحَ لَهُ مكـانـاً وَسْطَهُم وأَبدى (٤٤) السِّندبـادُ رغبَتَهُ في العودَةِ إِلَىٰ بلادِهِ . . فتأثَّـرَ الملكُ من شُعُوْرِ السِّندبـادِ وشكَرَهُ شكـراً عميقاً لمشاعِـرِهِ الطيبةِ ولم يعترضْ على عـودتِهِ إِلَىٰ بغدادَ وأَمرَ خدَمَهُ أَن يُعطُوا السِّندِبادَ هَدَايا قَيِّمَةً من خزائِنِهِ من المُجوهَراتِ والهدايا والمَلَابِسِ الثمينـةِ دَلَالَةً على عِرفانِهِ وتقـديرِهِ . . وحمَلَ الخَدَمُ تِلكَ العَطَايـا الثمينةَ إِلى السفينـةِ التي سيرتَحِلُ عليها . . ووقفَ المَلِكُ ورجـالُهُ لِـوَدَاعِهِ وقبَّلَـهُ الملكُ وقـالَ بتأثُـرٍ : لقـد كنتَ لنا نِعْمَ الأَخِ وَالصَّـدِيْقِ يـا سِندبـادُ . . فأَبْحِرْ على بركةِ الله وعُـدْ إِلى وطَنِكَ ولكِنْ لا تنسَ أَنَّ لَكَ هنا أصدقاءَ وأحباءَ فإذا ما ساقَكَ القَدَرُ قريباً مِنَّا فلتقمْ بزيارَتِنَا .

فَوعَدَهُ السِّندبادُ بذلِكَ وعْداً صادِقاً . . وركِبَ السفينةَ التي رَفَعَتْ قِلَعَها وأَبحرَتْ على بركةِ الله . . ووقَفَ السِّندِبادُ على حافَّةِ السَّفِيْنَةِ يُراقِبُ المَدينـةَ العظيمةَ وهي تبتعِـدُ عن عينيهِ حـزينـاً . . ولكنَّ حُزنَـهُ انقلبَ إِلى سَعادةٍ وهو يَتَذَكَّرُ أَنَّهُ سَيعودُ إِلى بغدادَ . . مَدينَتِهِ ووَطَنِهِ . .

وهتفَ بسُرورٍ : ما أجملَكِ يـا بَغـدادُ يا بلـدي العـزيـزَ . . لن أغادِرَكِ(٤٥) بعدَ الآنِ ويَكفي ما لاَقَيْتُهُ من مَتاعِبَ ومَصاعِبَ في رحلتي هذِهِ . .

ووصَلتِ السفينةُ أخيراً إلى البَصْرَةِ . . ومن البَصْرةِ سافـرَ السِّندِبادُ إلى بَغدادَ واشترى قصْراً كبيراً وعَـاشَ سنواتٍ وسنـواتٍ وهو هـانيءٌ سعيدٌ لِعوْدتِهِ إلى وَطنِهِ وهو لا يُفكرُ في السَّفرِ مرةً أُخرَى .

* * *

واديْ المـاسِ
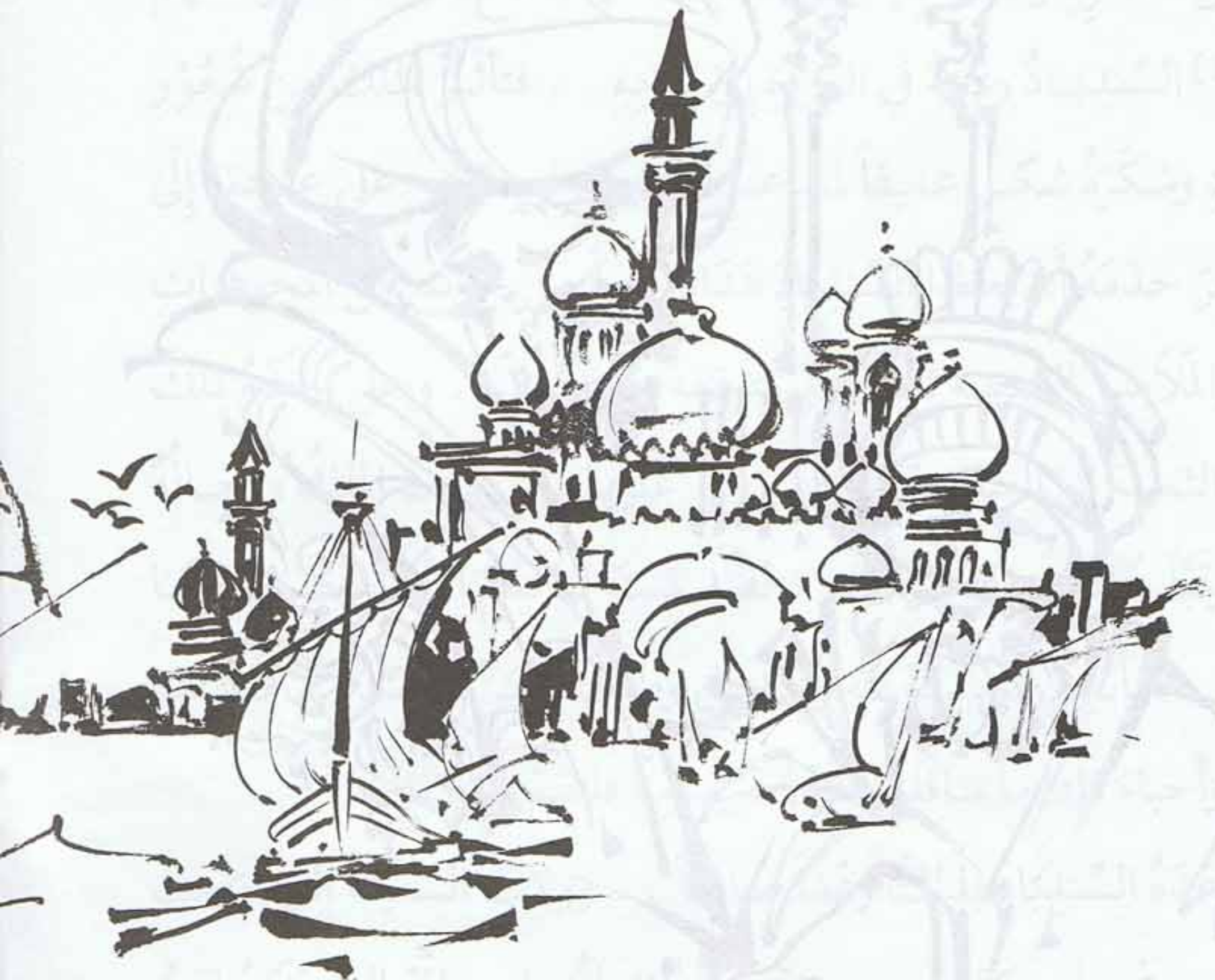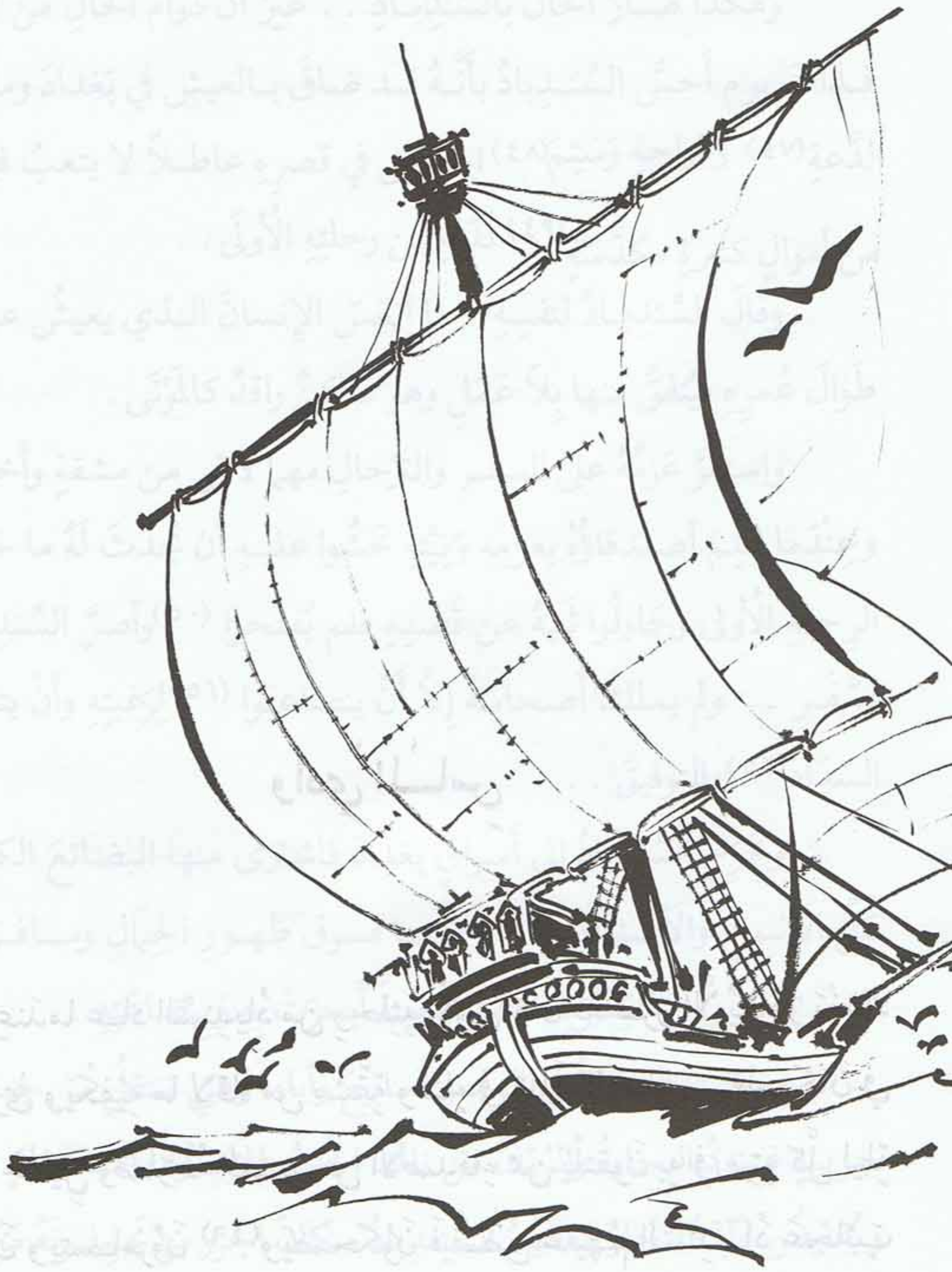
عِندَما عـاد السِّندِبادُ من رِحلتِهِ الأُولى كانَ قدْ قـرَّرَ ألاَّ يُغادرَ بَغدادَ مَرةً أُخرىٰ ويَكْفِيَه ما لاقاهُ من مَشَقَّةٍ وعَناءٍ في تِلكَ الرحلةِ . . فاستكانَ في قَصرِهِ الجميلِ وصَارَ لَهُ العديدُ من الأَصدقاءِ ممن يَلْتقونَ بِهِ في بيتِهِ كلَّ ليلةٍ فيَسهرُونَ ويتسـامرُونَ (٤٦) ويَضحكوُنَ فيَقُـصُّ عليهم السِّندِبـادُ عَجَائبَ رِحلتِهِ الأُولى أَو يَقصُوا هُمْ عليهِ بعضاً مِنَ النوادرِ والحِكاياتِ . .

وهكذا صارَ الحالُ بالسِّندِبادِ . . غيْرَ أَنَّ دوامَ الحالِ من المُحالِ، فذاتَ يومٍ أَحسَّ السِّندِبادُ بأَنَّهُ قد ضاقَ بالعيشِ في بَغدادَ وملَّ حياةَ الدَّعةِ(٤٧) والراحةِ وَسَئِمَ(٤٨) الجلوسَ في قصرِهِ عاطلاً لا يتعبُ فيما يُنفقُهُ من أموالٍ كثيرةٍ مكدَّسةٍ(٤٩) لَدَيْهِ من رحلتِهِ الأُولَى . .

وقَالَ السِّندِبادُ لنفسِهِ : ما أَتعَسَ الإنسانَ الذي يعيشُ على ثروتِهِ طَوالَ عُمرِهِ فيُنفقُ منها بِلاَ عَملٍ وهو ساكنٌ راقدٌ كالمَوْتَى .

واستقرَّ عَزمُهُ على السفرِ والتَرْحالِ مهما لاقى من مشقةٍ وأَخطارٍ . . وعِنْدَمَا عَلِمَ أَصدقاؤُهُ بعزمِهِ وَنِيَّتِهِ خَشُوا عليهِ أَن يَحدُثَ لَهُ ما حَدَثَ في الرِحلةِ الأُولى وحَاولُوا ثَنيَهُ عن قَصْدِهِ فلم يُفلحوا(٥٠) وأصرَّ السِّندِبادُ على السَّفَرِ . . ولم يملكْ أَصحابُهُ إِلاَّ أَنْ ينصاعوا(٥١) لِرَغبتِهِ وأَنْ يتمنَّوا لَهُ السَدَادَ(٥٢) والتوفيقَ . .

وخَرَجَ السِّندِبادُ إِلى أَسواقِ بغدادَ فاشترى منها البضائعَ الكثيرةَ من كُلِّ الأَنواعِ والأَصنافِ . . وحمَلَها فوق ظهورِ الجِمَالِ وسافرَ بِهَا إِلى البَصْرةِ . . ومِنَ البَصْرَةِ استقلَّ سَفينةً أَبحرَتْ بِهِ وَبِبِضاعَتِهِ .

ومكثتِ السفينةُ في البحرِ أَسابيعَ وأياماً وهي تنتقلُ من جزيرةٍ إِلى جزيرةٍ فيتزودُ البحارةُ والرُبّانُ من تلكَ الجُزرِ بالمُؤَنِ والفاكهةِ والماءِ العذْبِ ويُقايضُ(٥٣) التجارُ ومعهُمُ السِّندِبادُ سكانَ الجزرِ بما يَحمِلونَهُ مَعَهُم من أَقمشةٍ وملبوساتٍ .

وذاتَ صباحٍ رستِ السفينةُ على شاطىءِ جزيرةٍ كَبيرةٍ كانت شُطآنُها تمتدُ في الأفُقِ بِلا نِهايةٍ كأنَّها قارَّةٌ (٥٤) كبيرةٌ لا يُدرِكُ حُدودَهَا البَصرُ . .

قال الرُبَّانُ متعجِباً : هذه جزيرةٌ كبيرةٌ جِداً لم أرهَا في تَجْوالي في البِحارِ مِنْ قَبْلُ . وصَحَّ عزمُهُ على استِكْشَافِهَا ومعَهُ التُجّارُ ومنهُمُ السِّندِبادُ والجميعُ يحسُّونَ بِالترَقُّبِ والفُضولِ لِتلكَ الجَزِيرَةِ الغَامِضَةِ . .

وانهمكَ البَحّارةُ في قَطْفِ الثِمارِ اللَّذِيْذَةِ المَذاقِ والتي لم يَطعَمُوا (٥٥) مِثلَهَا مِنْ قبلُ كما انْشغَلُوا في جَلْبِ المِياهِ العذْبةِ المُتوفِّرةِ في الجزيرةِ . .

أما التُجّارُ فقد كَانَ هَمُّهُمُ الأَوَّلُ اكتشافَ غرائبِ وعجائبِ الجزيرةِ فَسَارُوا بِلا هُدىً في أرجائِهَا بعدَ أن أعْلَمَهُمُ الرُبّانُ أَنْ يعودُوا قبلَ غُروبِ الشَّمْسِ لإِبحارِ السفينةِ . .

وأخذَ التُّجارُ ومعَهُمْ السِّندِبادُ يُعلِّمُونَ طريقَهُم بعلاماتٍ خاصةٍ يَضعُوْنَها علىَ جُذوعِ الأشجارِ التِي يُقابلونَها لِتَسْهُلَ عليهم العودةُ مرةً أُخرى قبلَ غُروبِ الشمسِ . .

ومن العَجيبِ أَنهم لَمْ يُصادِفُوا مَخْلوقاً في تجوالِهِم . . كأَنَّ الجزيرةَ الكبيرةَ ذَاتَ الثِمارِ اليانعةِ (٥٦) والأَشجارِ الباسقةِ (٥٧) والمِياهِ العَذْبةِ لا يَسكنُها إِنسانٌ أَو حيوانٌ . .

ولفتَ انتباهَ السِّندبادِ شجرةٌ قَصِيْرَةٌ غـريبةُ الشَّكلِ تتـدلى منها ثمارٌ حَمْراءُ اللونِ وكانَ لها ورودٌ مُتفتِّحةٌ بَهِجَةٌ للنظـرِ . . فانفَصلَ السِّندِبادُ عن رِفاقِـهِ من التُجارِ وهُوَ يَحِسُّ بفُضولٍ شديـدٍ لِتَذَوُّقِ ثِمارِ الشَجَـرةِ وقَالَ لِنَفْسِهِ : لِأُذُقْ هذِهِ الثِمارَ فَإِنَّها تَبْدُو للعينِ شهيةً لذيذةً . .

واقْتَطَفَ إِحْدَاها وَتَـذَوَّقَها بِحِرْصٍ فَوجدَ طعمَهَا لَـذيذاً واسْتَطَابَ مَذَاقَهَا فأَتبعها بأُخرى وأُخرى . . ولمْ يـدْرِ السِّندِبادُ إلاَّ والدُّنيا تَغيبُ عن عَيْنيهِ فَسقَطَ على الأرضِ وغابَ عن وْعيِهِ ولمْ يُدْرِكْ أَنَّه أَكَلَ من ثِمارٍ مُخدِّرَةٍ تُصيبُ من يأْكُلُهَا بِفِقْدانِ الوعي . .

أَمَّـا التُجَّارُ فقـد ظَنُّوا أَنَّ السِّنـدِبـادَ عادَ إِلى السفينـةِ فاسْتَمَـرّوْا في تَجْوالِهِمِ وعندَمَا أَحسُّوا بِأَنَّ الشَمسَ سـوفَ تَغِيبُ خِلاَلَ وقتٍ قصيرٍ عادُوا لِيَجدوا أَنَّ السَفِينَـةَ عَلَى وشَكِ الإِبحـارِ فأَسْرعـوا صَـاعِـدِينَ إِليهَـا وهم يَحْسَبُونَ (٥٨) أَنَّ السِّندبادَ سبقَهُمْ في الصُعُودِ .

ورفعت السفينةُ قِلَعَهـا وعاودتِ الإبحارَ . والتَفَتَ بـاقي التُجارِ بحثاً عَنْ السِّنـدِبادِ فَلَمْ يَعثُروا عليهِ فـانْتابَتْهُمْ (٥٩) الحيرةُ والدَهْشَةُ وسأَلوا البَحارةَ والـرُبّانَ عنـهُ فَأَجابُـوهُم بِأَنَّهم لم يُشاهِـدُوه منذُ غـادرَ السَفينةَ في الصباحِ فـأُصيبَ زُملاؤُه بـاضطِرابٍ وحُزْنٍ عَميقَينِ وأسِـفَ القُبْطانُ (٦٠) لِعدَمِ استطاعتِه العودةَ مَرّةً أُخرى إلى الجزيرةِ الغامضةِ (٦١) .

* * *

عِندما أَفاقَ السِّندِبادُ من نَومِهِ أُصيبَ بالذُّعْرِ وَهُو يُشاهدُ الشمسَ وهْيَ تكـادُ تَخْتَفِي وراءَ الأُفُقِ وَقَـدْ تلـونَتِ السَماءُ بِلَـونِ الشَفَقِ (٦٢) الأَحْمَرِ الدَّامي .

فَهَبَّ بِسُرعَـةٍ وقد أَيْقَـنَ أَنَّهُ أَكَلَ من نَبـاتٍ مُخَدِّرٍ يُصيبُ من يأْكُلُـهُ بالنـوم وَجَرَى بِأَسْرعِ ما يُمكنُهُ لِيلحَقَ بالسفينةِ وقدْ ظَنَّ أَنَّهَا لم تُبْحِـرْ بعدُ وأَنَّ بَحّارَتَها ورُبّانَها في انْتظارِهِ . . ولكنَّهُ ما كادَ يَصِلُ إلى شاطىءِ الجزيرةِ حتى لَمَحَ السفينـةَ عن بُعدٍ وقَدْ كـادَتْ تختفي . . فصرَخَ السِّندِبـادُ بِأَعلى صوتِهِ ولَكِنْ هيهاتَ (٦٣) . . فقد كانتِ المَسافةُ بَعيدَةً ولا يُمكِنُ لِأَحدٍ أَنْ يَسمَعَهُ من تِلكَ المسافةِ .

وأُسْقِطَ في يَدِ السِّندِبادِ (٦٤) وأَصابَهُ الإحباطُ (٦٥) واليأْسُ الشديدانِ

وهَتَفَ يقولُ : مالي يا ربُّ أَكلْتُ من تِلكَ الشجرةِ دونَ بَقِيَّةِ زُملائي . . ها هيَ عاقبةُ الفُضُولِ الشديدِ . .

وسارَ حزيناً متألماً لِفَقدِ رِفاقِهِ على تِلكَ الصورَةِ . . وكانَتِ الشمسُ قد غرُبَتْ تماماً وهَبَطَ الليلُ فَقَالَ السِّندِبادُ لنفسِهِ مُتأَسِّياً : لِأَنَمِ ٱلآنَ وَلْيَكُنْ فِي الصباحِ مَا يكُونُ . وَتَمَدَّدَ مَرَةً أُخْرَىٰ قُرْبَ الشاطِىءِ وَنَامَ بِرُغْمِ قَلَقِهِ . .

وفي الصبَّاحِ استيقظَ السِّندِبادُ وقد زايَلهُ(٦٦) إِحساسُهُ بالهمِّ والقَلَقِ وعَزَمَ عَلَى استِكْشافِ الجزيرةِ فسارَ فيها بِلاَ هُدىً مُحاولاً أَنْ يَبلغَ شاطِئَهَا الآخرَ بلا فائدةٍ . . واسْتمرَّ في سَيرِهِ ساعاتٍ حتى قاربَ الوقتُ على الظَهيْرَةِ وأحسَّ السِّندِبادُ بالتعَبِ لِطُولِ ما سارَ فقالَ لنفسِهِ : لِأَصعدْ فوقَ شجرةٍ عاليةٍ فأَتمكَّنَ من رُؤْيةِ أَغلَبِ أجزاءِ الجزيرةِ فَإِنَّ هَذا أَفضَلُ مِنَ السيرِ هكذا بلاَ هَدَفٍ .

وتسلَّقَ أَعْلَى شجرةٍ صادَفَها أَمامَهُ حتَّى وَصَلَ إِلى قِمَّتِهَا . . وكانتِ الشجرةُ عاليةً تَفوقُ كلَّ أشجارِ الجزيرةِ عُلواً فنظرَ السِّندِبادُ من فوقِ قِمَّتِهَا إِلى أنحاءِ الجزيرةِ ولكنَّهُ لِدَهشتِهِ لم يَستطِعْ أَنْ يَبلغَ الشاطىءَ الآخرَ لَهَا بعينيهِ فَقَالَ لنفسِهِ متعجباً : يا لَهَا من جزيرةٍ كبيرةٍ . . إِنني من هُنا لا أَرى شاطِئَهَا الآخرَ.

وعندَما أدارَ رأْسَهُ للناحيةِ الأُخرى ونظرَ مُسْتَطْلِعاً شاهدَ شيئاً عَجيباً فَهتفَ بِدهْشةٍ عَظيمةٍ : ما هذا ؟

وكـان ما رآهُ السِّنـدبادُ قُبّـةً (٦٧) بيضاءَ هَـائلةَ الحجمِ كـأَنَّها حُجْرَةٌ ضَخْمَةٌ مِنْ حُجُـراتِ قَصرِهِ الواسعِ ، غيرَ أَنَّ القُبّـةَ كانت غـريبةَ الشكلِ كأَنَّها بَيضةٌ هائلةٌ وكانت بيضاءَ اللونِ تلْمَعُ تحتَ ضَوْءِ الشمسِ السَاطعِ .

فَهَبطَ السِّندِبادُ من فوقِ الشجـرةِ وبُسرعةٍ دفعَهُ الفُضُولُ لاكتشافِ سِرِّ تلكَ القُبّـةِ الهائلةِ . . وجـدَّ في السير (٦٨) تجاهَها وَهُوَ يَظُنُّهـا قريبةً ولم يدرِ أَنَّ الأَشيـاءَ مِنْ أَعلى تَبدُو قريبةً ولكـنْ عِندَ مُحاولةِ الوُصُـولِ إِليها فإِنَّ ذلكَ يَستَغْرِقُ وقتاً طويلاً . .

واسْتمرَّ السِّندِبادُ سائراً أَكثَرَ مِن ساعتينِ حتَّى اسْتطاعَ الوُصولَ إِلى البَيضةِ الهائلةِ الحجمِ ووقفَ يتأَمَّلُهَا مَذهوشاً وهو لا يجرُؤُ على لَمْسِهَا . .

وأخيراً استجمعَ السِّنـدِبادُ شَجـاعَتَهُ ودَنـا(٦٩) من البيضـةِ الهائلـةِ وَطرقَ بيدِهِ على جِـدارِهَا فلمْ يسمعْ شيئاً . . فعاودَ الطَـرْقَ بِلاَ فائدةٍ . .

وكـانَ جِدارُ البيضـةِ خَشِناً ذا نتـوءاتٍ مُتعرِّجَـةٍ(٧٠) غيرَ أَنَّهَا على البُعـدِ بدت(٧١) مَلْساءَ ناعمةً .

ووقفَ السِّنـدِبادُ في حَيرةٍ وَهُوَ لاَ يَـدْرِيْ ما يفعلُ . . وفَجْـأَةً وجَدَ الدُّنيا تُظْلِمُ من حَولِهِ برُغمِ أَنَّ الوقتَ نهارٌ . . فرفَعَ عينيهِ في دهْشةٍ فشاهدَ طـائراً هائلاً يكـادُ يسُدُّ عَينَ الشمسِ بِجَنـاحَيهِ وهـو يُرفـرِفُ بِهما فَيَصْنَعُ عَـاصِفَـةً من التُّرابِ على الأَرضِ . . وعَـرَفَ السِّنـدِبـادُ ذلكَ الطَـائرَ الخُرافيَ(٧٢) على الفوْرِ فهو طائرٌ هائلُ الحجمِ يُسمّى «الرُّخّ» سَمِعَ عنهُ

كثيراً من بَعضِ البَحارةِ غيرَ أَنَّهُ ظنَّ وجودَهُ خُرافةً يتناقَلُهَا البَحارةُ ولم يُصدِّقْ أَنَّ ذلكَ الطائرَ يعيشُ فِعْلاً . .

وأسرَعَ السِّندِبادُ يحتمي بأقرَبِ صَخرةٍ إليهِ فقَدْ كانَ يَعلمُ أَنَّ «الرخّ» لَوْ لَمَحَهُ (٧٣) لمزّقَهُ بِمَخالِبِهِ فَهُوَ طائرٌ شديدُ البَأْسِ يُمْكِنُهُ أَنْ يَبتلِعَ فِيلاً في المرَّةِ الواحدةِ .

وهبطَ طائرُ « الرُّخِ » وهو يَصنعُ عاصِفةً مِنَ التُّرابِ بِجَناحيهِ إلى أَن اسْتقرَّ فوقَ البيضةِ الضَخْمَةِ ورقَدَ فوقَها وأطلَّ السِّندِبادُ بِحرْصٍ من مَكْمَنِهِ (٧٤) خَلْفَ الصخْرةِ وشاهَدَ الرُخَّ راقداً على البَيْضَةِ الضخْمَةِ ففهِمَ أَنَّها بيضةُ الرُخِّ . . وحمدَ اللهَ أَنَّهُ لم يُؤْذِهَا وإلاَّ لمزّقَهُ الرُخُّ شرَّ مُمَزَّقٍ بأَظافِرِهِ وفكَّرَ السِّندِبادُ وهو في مكانِهِ من أَينَ جاءَ هذا الرُخُّ . . وإلى أَينَ يذهبُ . . لا بُدَّ أَنَّهُ يطيرُ إلى جُزُرٍ أَو أَراضٍ أُخرى لِيُحضِرَ طَعامَهُ مِنْها فهو طائرٌ ضخمٌ يحتاجُ إلى طَعامٍ كثيرٍ وقد يَكونُ ذلك المَكانُ الذي يُحضِرُ مِنْهُ طَعامَهُ مأهولاً (٧٥) بِالسُكانِ . .

وأيقنَ (٧٦) السِّندِبادُ من سَدادِ تفكيرِهِ وقالَ لِنفسِهِ : لِيأْخذْني هذا الطائرُ معَهُ عند طَيَرانِهِ . .

واقترَبَ من طائرِ الرُّخِ مُحاذِراً (٧٧) . . غيرَ أَنَّ الطائرَ الضَخمَ كانَ قد أغمضَ عينيهِ وهو راقدٌ فوقَ البيضةِ كأَنَّهُ غرِقَ في النومِ . . وحلَّ السِّندِبادُ عِمامَتَهُ واقْترَبَ من ساقِ الطائرِ التي كانت تُشبِهُ جِذْعَ شجرةٍ ضخمةٍ فَرَبطَ نفسَهُ إليها مُحاذِراً أَلاّ يُوقظَ الطائرَ الضخمَ .

ولكنَّ الرُّخَّ لمْ يُحِسَّ بِهِ فقد كانَ السِّندِبادُ بالنسبةِ إلى الرخِّ صغيراً لا يَزيدُ عن حَجمِ مِخلَبٍ واحدٍ من مخالبِهِ . .

وانتظرَ السِّندِبادُ في مكانِهِ هادئاً حتَّى الصبَاحِ . . وعندما أشرقَتِ الشمسُ استيقظَ الرُّخُّ ورفرفَ بِجَناحَيهِ فأَحسَّ السِّندِبادُ كَأَنَّ هناكَ رِيحاً عاصفةً قدْ هَبَّت ولولا أنَّهُ كَانَ مَرْبُوطاً بِقُوةٍ إلى ساقِ الرُخِّ لطارَ مِنْ مكانِهِ .

وارتَفَعَ الرُخُّ في الهواءِ وهو لا يَشعرُ بوجودِ السِّندِبادِ . . ووجدَ السِّندِبادُ نَفْسَهُ يَرتفعُ في الهواءِ طائراً معَ الرُّخِّ . . ونظرَ لأسفلَ فظهَرَتْ لَهُ الجزيرةُ الضخْمةُ كأَنَّها عُلبةٌ صغيرةٌ في الماءِ . . وقد اختفتْ بيضةُ الرُخِّ الكبيرةُ جِداً كما اختفَتْ أَشجارُ الجزيرةِ ونَبَاتاتُها وهَتفَ السِّندِبادُ مُتعَجِّباً :

يا إلهي . . إلى أيِّ عُلوٍ طارَ هَذَا الرُخُّ . .

واستمرَّ الرُخُّ في طَيرانِهِ حاملاً السِّندِبادَ حولَ ساقِهِ وهو يَمرُّ فوقَ جُزُرٍ عديدةٍ لا حصرَ لَهَا . . وهي كُلُّها تَبدُو مِنْ ذَلِكَ العُلوِّ الشاهِقِ (٧٨) كَأَنَّها عُلَبٌ صغيرةٌ لا تكادُ تُرى . .

وهتفَ السِّندِبادُ لنفسِهِ قَلِقاً : متى يَهبِطُ هذا الطائرُ المُخِيفُ . . إنني أُحِسُّ خوفاً عظيماً . . ليتني ما رَبَطتُ نفسي في ساقِهِ فما يُدْرِيني أَينَ يذهبُ بِيَ هذا الطائرُ . وأَخيراً هَبطَ الطائرُ والشمسُ تكادُ تغيبُ وراءَ الأُفُقِ . .

ولمحَ السِّندِبادُ وادياً عميقاً راحَ الرّخُّ يهْبِطُ تجاهَهُ بسُرعةٍ مُخيفةٍ حتى أنَّ السِّندِبادَ أغْمَضَ عينيهِ خوفاً مِنْ أنْ يَصطَدِمَ بِالأرضِ . . غيرَ أنَّ الطائرَ خفَّفَ سُرعَتَه في الهُبوطِ عندما اقتربَ من الوادي . . كانَ الوادي عَمِيقاً كأَنْ لا قَرارَ لَهُ . . وكانَتْ تَحُفُّ (٧٩) بِهِ من الجَنَباتِ هِضابٌ عاليةٌ تُحيطُ بِهِ فتجعَلُ مُحاولةَ الخُروجِ منهُ ضَرْباً (٨٠) من المُستَحِيلِ . .

وهبطَ الرُخُّ في الوادي العميقِ . . وأَبصَرَ السِّنْدِبادُ في قَعْرِ الوادي حَيَّاتٍ ضَخمَةً هائلةَ الحجمِ فزادَ خوفُهُ ودَهْشَتُهُ . . وانْقَضَّ طائرُ الرُخِّ على حَيَّةٍ هائِلَةِ الحجمِ كأَنَّها شَجرةٌ ضخْمَةٌ وأَمسَكَها بين مَخالبِهِ المُرعِبَةِ فأسرَعَ السِّندِبادُ يَفُكُّ رِباطَهُ مِنْ ساقِ طائرِ الرُخِّ وابْتَعَدَ راكضاً . . وطار
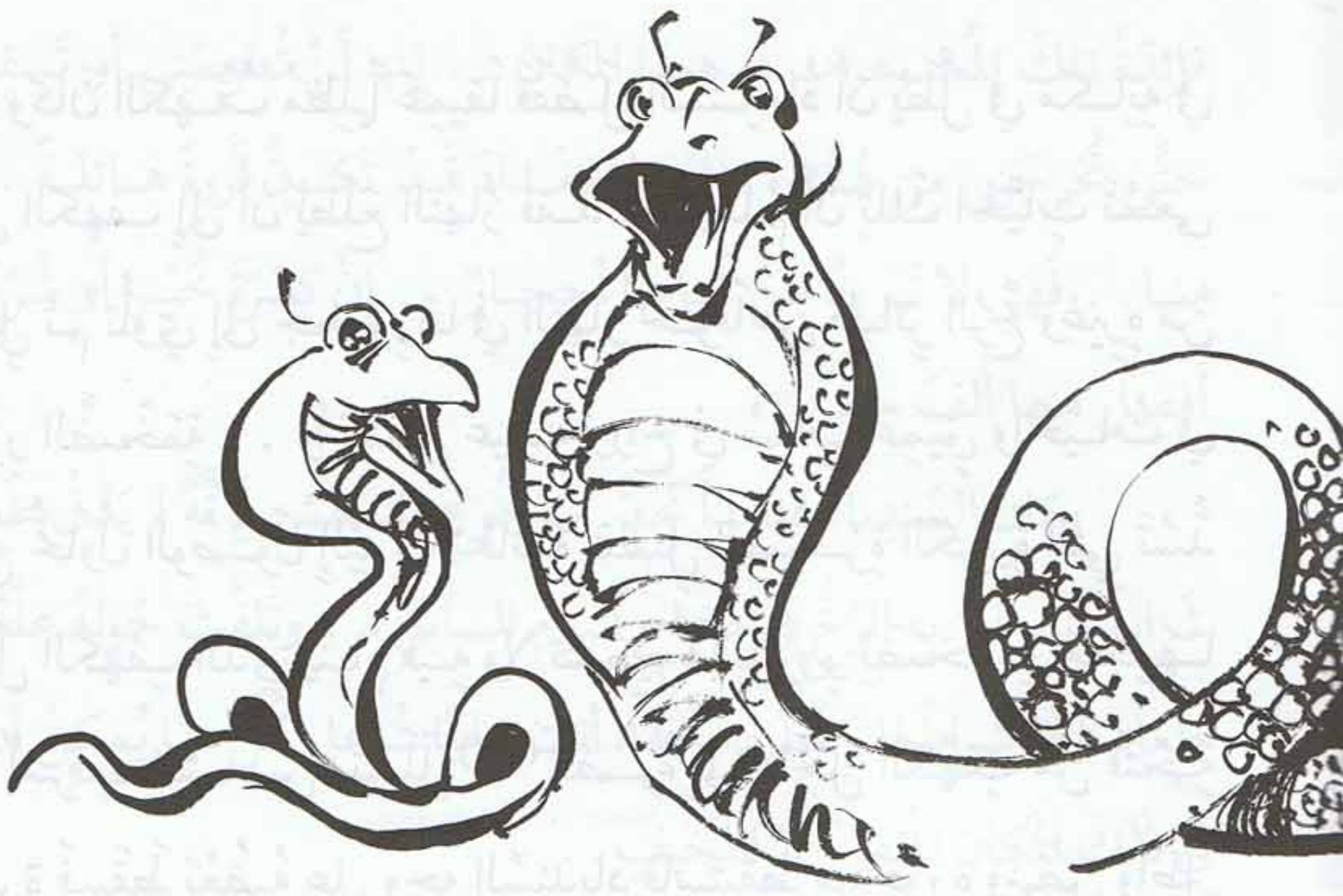
الـرُّخُ بِصَيْدِهِ لِأعلى والحَيَّـةُ المُرْعِبَـةُ تَتَلَوَّى بَيْنَ مَخَـالِبِهِ وَهي لا تجدُ فُكَـاكـاً . .

وما كـادَ السِّندِبادُ يُلقي نَظـرةً حَولَهُ حتى أصـابَهُ خَوفٌ شـديدٌ . .

كـانَ الوادي مَلِيئـاً بالأفـاعي الضَخْمَـةِ من كُلِّ الأَشكالِ والأنـواعِ فأَسْرعَ باحثاً عن مَلْجأٍ ومَأْوىً لَهُ قبلَ أن تَفْتَرِسَهُ الحيَّاتُ العِمْلاَقَةُ .

وَلِحُسْنِ حَظِّهِ وَجَدَ كَهْفاً(٨١) كبيراً في أَحَدِ أركانِ الوادي فَجرى نحوَهُ بِكلِّ ما وَسِعَـهُ مِنْ قُوَّةٍ . . وكـانَـتْ هناكَ صَخرةٌ كبيرةٌ أَمـامَ بـابِ الكهْفِ فأزاحَهـا بِمَشقَّـةٍ بحيثُ تَتَّسِعُ لِمُرُورِهِ . . ثم عَبَرَ مِنْ خَلفِهَـا إِلى داخلِ الكَهفِ مُحْتمِياً من الحيَّاتِ الضخمةِ . .

وكانَ الكهـفُ مُظلِماً عَمِيقاً فَفَضَّلَ السِّنـدِبادُ أَن يَظَلَّ في مكـانِهِ في مَدْخَلِ الكهفِ إِلى أَن يَطْلَعَ النهارُ فقـدْ كانَ يَعلمُ أَنَّ تِلكَ الحيَّاتِ تَسْعى في الليلِ ثم تأْوي إِلى جُحـورِهَا في النهارِ خـوفاً من طَـائرِ الرُّخِّ وغيرِهِ من الطُّيُـوْرِ الضَّخْمَةِ . . وأغمَضَ عينيـهِ وراح في سُباتٍ عَمِيقٍ والحيَّـاتُ في الخارجِ تُحاولُ الوصُـولَ إِلَيْهِ بِـلاَ فائدةٍ بِفضْلِ الصخـرْةِ الكبيرةِ التي تَسُدُّ مَـدْخَلَ الكهفِ الذي ينـامُ فيـهِ ولا تسمَحُ لَهَا بالمرورِ لِضَخـامَةِ حَجْمِهَـا وأخيراً أشرقَتِ الشمـسُ وتَسلَلَ(٨٢) الضـوءُ إِلى داخِلِ الكهْفِ من فُتْحَـةِ الصخرةِ فَسقَطَ بَعْضُهُ على وجهِ السِّندِبادِ فاستيقَظَ من فورِهِ ونهضَ وأطلَّ بحـذرٍ من خلْـفِ الصخـرةِ فلم يجدْ أَيـاً من الحيَّـاتِ المُرعِبـةِ التي آوتْ لِجُحُورِهَا ورِهَا فأحسَّ ببعضِ الإطْمِئنـانِ وخرَجَ من مَكمَنِهِ وقد عزَمَ على اكْتشافِ ذلكَ الوادي . .

وعندمـا أَلقى السِّندِبادُ نظـرةً على الأَرضِ أَصابتْهُ دَهشـةٌ عظيمةٌ . فقد شـاهدَ الأَرضَ مُغطاةً بِقِطَعِ الماسِ الـلاَّمِعةِ . . وهتفَ السِّنـدِبادُ غيرَ مُصَـدِّقٍ وهُـوَ يَلتقِطُ الأَحجـارَ الكـريمـةَ التي لا عَـددَ لَهَا وهُـوَ يُقهقِهُ(٨٣) بسعادةٍ وسُرورٍ . .

وَحَشَا السِّندِبادُ جُيُوبَهُ بِكُلِّ مـا وصَلَتْ إِليهِ يَداهُ من ماسٍ مُتفاوِتِ الأَحْجامِ حتَّـى امْتلأتْ عن آخِـرها . ثم وقَفَ مُفكِّـراً وقَالَ لنفسِـهِ : ما

فائِدَةُ تلكَ المُجوهراتِ في هذا المكانِ . . إنها لَنْ تُطعِمَنِي أو تَسقِيَني أو حتَّى تُخرِجَنِي مِن هُنا . . إِنَّها في بغدادَ قَدْ تكونُ ثَروةً هائلةً . أَمَّا هنا . . فَهيَ لا تَزيدُ عن كَوْنِهَا أحجارٌ . . إِنَّ كِسْرَةَ خُبْزٍ أو شُرْبَةَ ماءٍ أَفضلُ منها أَلفَ مرةٍ .

وكانَ السِّندِبادُ قد بدأَ يُحِسُّ بالجُوعِ والعَطَشِ لِأَنَّهُ لم يَذقْ طَعاماً أو شَراباً منذُ طارَ بِهِ الرُخُّ في صَباحِ اليومِ السابقِ . . وتَلَفَّتَ حَولَهُ علَّهُ يَلمَحُ طَعَاماً أو شراباً فلمْ يَجِدْ . . فقد أتت الحيَّاتُ على كُلِّ ما يُمكنُ أَنْ يُؤكَلَ في ذلكَ المَكانِ المُقفِرِ (٨٤) المُخيفِ . .

وجلسَ السِّندِبادُ حَزيناً مَهمُوماً وهُوَ يقولُ في نفسِهِ : كنتُ سعيداً هانئاً في قصري ببغدادَ فتركْتُ كلَّ ذلكَ وجئتُ إلى هذا الوادي المُرعِبِ . . ما أَتعسَني وأَشْقَاني . .

وخَطَرَتْ في بَالِهِ فِكْرةٌ فهتفَ : لقدْ جاءَ بي إلى هذا المكانِ طائرُ الرُّخِّ فلِماذا لا أَعُودُ بِهِ . . سَوْفَ أَربُطُ نفسي بِساقِهِ عِنْدَ عودَتِهِ لِيأخُذَني بعيداً مِنْ هُنَا ولٰكنْ مَا أَدراني متى يَأْتي . . لَعَلِّي أَمُوتُ قَبْلَ عَودَتِهِ . . وطَرَدَ الحُزْنَ عَنْ نفسِهِ ونَهَضَ فَصَلَّى إلى اللهِ مَرةً أُخْرىٰ . .

وعاودَ الجُلوسَ مُترقِّباً . . وفجأةً انتفضَ مَذهوشاً فقدْ سَمِعَ صَوتَ

ٱرْتِطَامِ شيءٍ بالأَرْضِ فالتفتَ خَلفَهُ فشاهَدَ شاةً(٨٥) ذَبيحَةً لا تَزالُ تَسيلُ مِنْهَا الدِّماءُ كأَنَّها ذُبِحتْ لِتوِّها فتعَجَّبَ لِما يَراهُ واقتربَ من الشاةِ الذبيحةِ وهَتفَ في سُرورٍ : يا لِحُسْنِ الحَظِّ ها قَدْ أَرسلَ ليَ القدرُ شاةً كامِلةً تَكْفِيْني عِدَّةَ أيامٍ .

غَيْرَ أنَّه قَبْلَ أن يَلْمَسَهَا فكَّرَ مَدْهوشاً . . فَمَنِ الذي ذَبَحَ تِلكَ الشاةَ وسَلَخَهَا ثم أَلقاها في الوادي ؟ وفَجأَةً تَذَكَّرَ أنَّهُ قد سَمِعَ شيئاً غريباً من بَعضِ البَحَّارةِ والتُجَّارِ في بغدادَ عن حِيلةٍ يَلْجأُ إليها بَعضُ تُجَّارِ المَاسِ في وادٍ يُسمَّى واديَ الماسِ بجزيرةٍ غريبةٍ يَرفُضونَ ذِكرَ اسْمِهَا . وأنَّهُم يأخذُونَ الماسَ من قاعِ واديها الذي لا يَستَطِيعونَ الوُصُولَ إليهِ بحيلةٍ غريبةٍ فهم يُلْقُونَ في الوادي باللَّحْمِ الطَازَجِ فَيَلْتَصِقُ بِبَعْضِ أَحْجارِهَا الكَرِيْمَةِ . . وَتَأْتِي الطُيُوْرُ الضَّخْمَةُ لِتَلْتَقِطَ قِطَعَ اللَّحمِ التي يَلْتَصِقُ بِهَا الماسُ ثم تطيرُ بِهَا بعيداً عن الوادي فَيُطارِدُهَا التُجارُ ويَسْتَوْلُونَ منها على اللحمِ بِمَا فيه من ماسٍ ثمينٍ . .

وعندما وَصَلَ تفكيرُ السِّندبادِ إلى هذا الحدِّ أيقنَ أنَّهُ في وادي الماسِ فأَسرعَ يَمْلأُ عَمامَتَهُ وجُيُوبَهُ بكُلِّ ما وَصَلَتْ إليهِ يداهُ من ماسٍ مُتَفاوِتِ(٨٦) الأحجامِ . . ثم رَبطَ نفسَهُ بالشاةِ الذبيحةِ وجعلَها فوقَهُ واسْتَلْقَى تحتَهَا مُنْتَظِراً في صَبْرٍ . .

ولم يَطُلْ صَبْرُ السِّندِبادِ فَسُرعانَ ما هَبطَ طائرٌ ضخمٌ وإنْ كانَ أَقلَّ

حجماً مِنْ الـرُخِّ بكثيرٍ وأكبرَ مِنَ النسرِ وأَنشَبَ مَخالِبَـهُ في الشَّـاةِ الـذَبيحـةِ وارتفعَ بِهَا في الهواءِ والسِّندِبادُ مربوطٌ بِهَا . .

وابتعـدَ الطائرُ عن الـوادِي المُخِيْفِ واتّجَهَ إلى صِغـارِهِ الـذين كانـوا ينتظرونَهُ جـائعينَ فوقَ قِمة الهَضَبةِ . . وما أَنْ وضعَ الطائرُ الشـاةَ الذَبيحةَ وتَحتَها السِّندِبادُ حتَّى هَلَّلَ الصِّغـارُ في سُرورٍ وَرفرفُوا بأجنحَتِهِمْ دليلاً على سُرورِهِمْ بِذَلِكَ الطَعامِ الشَهِي . .

وأغمضَ السِّنـدِبـادُ عينيـهِ وأَسلَمَ أَمرَهُ للهِ وهُـوَ يَـرى لنفسِـهِ ذلكَ المَصيرَ المُظلِمَ بينَ مَخالِبِ صِغـارِ الطَّـائرِ والتي كـانَ الـواحـدُ منهـا يَكـادُ يَفُوقُهُ(٨٧) حَجْماً مرتينِ . .

ولكنْ فجأةً تعـالـت صَيحَـاتٌ آدميـةٌ وهي تَصرخُ بصـوتٍ عـالٍ فانزَعَجَ الطائرُ وَصِغارُهُ وأسرعوا طائرينَ مُبتَعِدِينَ . . وفتحَ السِّندِبادُ عينيهِ غيرَ مُصدِّقٍ فَشاهَدَ مجمـوعةً من التجارِ يُسرعونَ نحوَهُ ومـا أن رَأَوْهُ مَرْبوطاً في الشاةِ حتَّى أصابَتْهُم دَهْشَـةٌ عَظِيمةٌ وحَلُّوا رِباطَ السِّنـدبادِ الذي حَكَى لِلتُّجارِ عن قِصَّتِهِ وعن حِيلَتِهِ التي لَجأَ إليها لِيَخرُجَ من الوادي المُخِيفِ . . وادي الماسِ . .

وأخـرجَ السِّندِبـادُ جِزءاً من الأحجـارِ الكـريمةِ التي أحضرَهَـا من وادي الماسِ وأَعطاهـا للتجارِ ففرِحوا بهَا فَـرَحاً شديداً وهَنَّأوهُ على نَجـاتِهِ فلمْ يَحْدُثْ قطُّ أَنْ نَجا إنسانٌ من ذَلِكَ الوادي وخَرَجَ مِنْهُ حَياً . .

وعندما أَعْلَنَ السِّندِبادُ لِلتُّجَّارِ رَغْبَتَهُ في السفَرِ والعودةِ إلى بَغدادَ رحَّبُوا بمُساعدتِهِ واصطحبُوهُ إلى أقربِ ميناءٍ ومن هناكَ اسْتقلَّ سفينةً عائداً إلى بغدادَ . .

وعندما استقرَّ السِّندِبادُ في مَنْزِلِه بعدَ رِحلَتِه الثانيةِ العجيبةِ استقبلَهُ أصدقاؤُهُ استقبالاً حافلاً فَرَحاً بِنجاتِهِ وعودَتِهِ . . وصارَ السِّندِبادُ بما أحضَرَهُ من مُجُوْهراتٍ أَغْنى مِمَّا كانَ بمراتٍ كَثيرةٍ . . وقرَّرَ أَلاَّ يُغادرَ بغدادَ بعدَ ذَلِكَ ويَكْفيهِ ما نالَهُ في رِحلَتيهِ من مَشقَّةٍ ومَخاطرَ وأن يعِيشَ في قَصرِهِ باقي عُمْرِهِ هانئاً آمناً مُطمَئِناً .

أسئلة الرحلة الأولى

١ ـ متى وأين كان يعيش السِّندِباد ؟

٢ ـ ماذا فعل السِّندباد قبل سفره إلى البصرة ؟

٣ ـ ماذا كان التجار يفعلون أثناء سفرهم مع سكان الجزر النائية؟

٤ ـ كيف عثر البحارة والربان على الماء العذب بعد أن نفد من السفينة؟

٥ ـ ما الذي أيقظ الحوت النائم منذ سنين ؟

٦ ـ ماذا حدث عندما استيقظ الحوت النائم ؟

٧ ـ لماذا لم يلحق السِّندباد ببقية رفاقه وبالسفينة ؟

٨ ـ ماذا فعل السِّندباد لينجو من الغرق ؟ وهل أفلح ؟

٩ ـ كيف نجا السِّندباد من الغرق ؟ وكيف وصل إلى البر ؟

١٠ ـ ماذا فعل السِّندباد عندما وصل إلى البر ؟

١١ ـ لماذا خشي السِّندباد أن يشرب من البركة في بداية الأمر ؟ ولماذا شرب بعدها ؟

١٢ ـ كيف نام السِّندباد على الجزيرة ؟ ولماذا ؟

١٣ ـ ما الذي شاهده السِّندباد في الصباح ؟

١٤ ـ كيف وصل السِّندباد إلى الملك ؟ وماذا قال له الملك ؟

١٥ ـ كيف عاش السِّندباد في المملكة ؟ ولماذا كان يذهب إلى الميناء كل يوم؟

١٦ ـ كيف عثر السِّندباد على ربان سفينته وبماذا اتهمه الربان؟

١٧ ـ ماذا فعل الملك عندما علم برغبة السِّندباد في العودة إلى بغداد؟ وماذا قال له؟

١٨ ـ كيف عاش السِّندباد في بغداد بعد ذلك ؟

أسئلة الرحلة الثانية

١ـ كيف عاش السِّندباد في بغداد بعد عودته من رحلته الأولى ؟

٢ ـ لماذا أراد السِّندباد السفر مرة أخرى ؟

٣ـ ماذا حدث للسِّندباد عندما أكل من الثمار الحمراء ؟

٤ ـ ماذا فعل التجار وهم سائرون ؟

٥ ـ ماذا فعل السِّندباد عندما أفاق ؟

٦ ـ ماذا فعل السِّندباد عندما أراد اكتشاف الجزيرة ؟ وماذا رأى ؟

٧ـ كيف كان شكل بيضة الرخ ؟

٨ـ ماذا فعل طائر الرخ عندما هبط من السماء ؟

٩ ـ لماذا ربط السِّندباد نفسه بساق طائر الرخ ؟

١١ ـ ماذا شاهد السِّندباد وهو طائرٌ مع الرخ ؟

١١ ـ أين حط طائر الرخ ؟ وماذا فعل السِّندباد لينجو من الحيّات الضخمة؟

١٢ ـ بماذا كانت أرضية وادي الماس ممتلئة ؟

١٣ ـ ما هي قصة وادي الماس ؟

١٤ ـ ماذا فعل السِّندباد عندما سقطت الشاة الذبيحة بجواره ؟

١٥ ـ ماذا فعل الطائر الضخم بالسِّندباد ؟

١٦ ـ من انقذ السِّندباد من مخالب الطائر الضخم وصغاره ؟

١٧ ـ ماذا فعل التجار مع السِّندباد ؟

١٨ ـ ماذا فعل السِّندباد عندما عاد إلى بغداد ؟

مسرد بالكلمات الصعبة

(١) مغامراً : يعمل ولا يبالي مهما كانت عاقبة العمل .
(٢) تتسم : تمتاز به وتوصف .
(٣) تقله : تحمله .
(٤) أنفس : أثمن وأغلى .
(٥) القِلَع : أشرعة السفينة .
(٦) يسود : يسيطر عليهم .
(٧) ملاحون : مفردها ملاح وهو العامل في السفينة .
(٨) نائية : بعيدة منفردة .
(٩) رويداً : بتأنٍ على مهل .
(١٠) يسير : قليل .
(١١) تقتات : تأكل .
(١٢) اليم : البحر .
(١٣) أخذه على حين غرة : غفله ودون انتباهٍ منه .
(١٤) النهك : شدة التعب والإعياء .
(١٥) خارت قواه : انهار .
(١٦) مشقة : جهد وتعب .
(١٧) تخلى عن الشيء : تركه .
(١٨) قبض عليه : أمسكه .
(١٩) المصير المحتوم : الموت .
(٢٠) يبزغ : يطلع من وراء شيء ما .
(٢١) الشُبهات : النوم .
(٢٢) في كبد السماء : في وسطها .
(٢٣) الهنيهة : الفترة القصيرة من الزمن .
(٢٤) المعجزة : العمل الخارق للعادة الذي لا يستطيع أن يفعله إنسان .
(٢٥) الرُّشد : الوعي والعقل .
(٢٦) الفضول : حب الاستطلاع والمعرفة .
(٢٧) ملامحه : علامات وجهه الظاهرة .
(٢٨) يطأ وطأ الأرض : داس عليها .
(٢٩) هائماً : لا يدري إلى أين يسير .
(٣٠) تَوَغَل : تقدم إلى العمق .
(٣١) لاحَ : ظهر وبان .
(٣٢) يقال سَلَّ السيف أي جرده للقتال وهيَّأه .
(٣٣) يهاب : يخشى ويتقي ويخاف .
(٣٤) تبدو : تظهر .
(٣٥) مقداماً : شجاعاً .
(٣٦) تصريف الأمور : تنظيمها والقيام بها .
(٣٧) فض المنازعات : حل الخلافات .
(٣٨) البغية : الطلب والحاجة .
(٣٩) خفق : اضطرب نبضه .
(٤٠) الوجهة : الناحية .

(٤١) تفرّس : نظر متفحصاً .
(٤٢) الاستيلاء : السيطرة والأخذ بالقوة .
(٤٣) انتقى : اختار .
(٤٤) أبدى : أظهر وأعلن .
(٤٥) غادر المكان : تركه وهاجر .
(٤٦) يتسامرون : يتحدثون أثناء سهرهم .
(٤٧) الدَّعة : الرفاه والسعة والراحة .
(٤٨) سئم : ملَّ .
(٤٩) مكدَّسة : مجمعة .
(٥٠) يفلح : ينجح .
(٥١) ينصاع : يرضخ ويطيع .
(٥٢) السداد : صواب الرأي والعمل .
(٥٣) يقايض : يبادل البضاعة ببضاعة أخرى من غير جنسها .
(٥٤) القارة : المنطقة من الأرض التي تضم مجموعة من الدول وتكون محاطة بالبحار .
(٥٥) يَطعمُوا : يأكلوا .
(٥٦) اليانعة : الناضجة .
(٥٧) الباسقة : العالية الخضراء النضرة .
(٥٨) يحسبون : يظنون .
(٥٩) انتابتهم : أصابتهم .
(٦٠) القبطان : قائد السفينة .
(٦١) الغامضة : المجهولة التي لا يعرف أحدٌ عنها شيئاً .
(٦٢) الشفق : الحمرة المغربية .
(٦٣) هيهات : إسم فعل ماضٍ بمعنى : بَعُدَ .
(٦٤) أسقط في يده : لم يدر ماذا يفعل .
(٦٥) الإحباط : حالة نفسية من لا يستطيع تحقيق أحلامه وتجعله يشعر بالاكتئاب والحزن .
(٦٦) زايله : فارقه .
(٦٧) القبة : بناء مكّور .
(٦٨) جد في السير : أسرع .
(٦٩) دنا : اقترب .
(٧٠) النتوءات المتعرجة : الأقسام البارزة الملتوية .
(٧١) بدت : ظهرت .
(٧٢) الخرافيّ : الذي لا وجود له أو الذي لا يصدق أحد بوجوده .
(٧٣) لمحه : رآه .
(٧٤) المكمن : المخبأ .
(٧٥) مأهولاً : معموراً ومسكوناً .
(٧٦) أيقن : تأكد .
(٧٧) محاذراً : خائفاً من أن يعلم به .
(٧٨) الشاهق : المرتفع جداً .
(٧٩) تحف به : تحيط به من كل الجهات .
(٨٠) ضرباً : نوعاً .
(٨١) الكهف : المغارة في الصخر .
(٨٢) تَسلَّل : دخل من الشقوق .
(٨٣) يقهقه : يضحك بصوت عالغ .
(٨٤) المقفر : المخيف .
(٨٥) الشاة : العنزة .
(٨٦) متفاوت : مختلف .
(٨٧) يفوقه : يزيد عنه

تهدف هذه المجموعة من القصص الجميلة
إلى تعويد الطفل على نطق اللغة العربية
بشكل سليم وذلك من خلال قراءة الكلمات المُشكَلَّة
والاستماع الى الراوي والممثلين المشهود لهم بالكفاءة
وهم يؤدون القصة عبر شريط التسجيل بأصواتهم الواضحة
في جو من المؤثرات الصوتية الرائعة ،
كما تدعو هذه المجموعة الى نبذ العادات القبيحة
والتحلي بالأخلاق الحسنة .
صدر من سلسلة المكتبة الخضراء للأطفال :
١ـ رحلات السندباد البحري
٢ ـ الامير المغرور
٣ـ الصياد وعرائس البحر
٤ـ الامير وابنة الحطاب
٥ـ فريد والمارد الجبار
٦ـ الصديقان الوفيان
٧ـ سعد الشرير
٨ ـ قدرة العسل
٩ ـ جزيرة القرود
١٠ـ علاء الدين والمصباح السحري
١١ ـ الحذاء الطيار
١٢ ـ جبل الفضة
١٣ ـ الملك أمين
١٤ ـ مهران وابنة السلطان
١٥ ـ النهر الكبير
١٦ ـ الفتى الذهبي
١٧ ـ الساحرة الصغيرة
١٨ ـ ماريلا الجميلة
١٩ ـ أميرة الطواحين السبع
٢٠ ـ الأنف المسحور